الوصايا

في

القرآن الكريم والسنة النبوية

إعداد وتقديم

الأستاذ/ صفوت جودة أحمد

وكيل العلوم الشرعية بالأزهر الشريف

دار السندس للتراث الإسلامي

Elsondos For Islamic Heritage

ش السيد الدواخلى - أمام جامعة الأزهر بالحسين - القاهرة

■ اسم الكتاب: الوصايا في القرآن الكريم والسنة النبوية

■ تأليف: الأستاذ/ صفوت جودة أحمد

■ الناشر: دار السندس - للتراث الإسلامي

■ تليفون: ٢٧٨٧٣٤٧٦ - ٢٥٨٩٧٥٢٩ - ٠١٢٣٧٠٧٠٢٦ - ٠١٢٢٥٩٢٤٦٧

■ سنة النشر: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

■ عدد الصفحات: ١١٢ صفحة

■ رقم الإيداع: ٢٠٠٨/٢٤٥٦٦

■ تصميم الكتاب: م/ مصطفى أبو غنيمة

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

دار السندس للتراث الإسلامي

Elsondos For Islamic Heritage

شارع السيد البواخلي أمام باب جامعة الأزهر - بالحسين - القاهرة

تليفون: 29 75 89 25 تليفاكس: 76 34 87 27 جوال: 67 24 259 012 - 26 70 370 012

E-mail: darsondos@yahoo.com

الإهداء

إلى رفيقتى على درب الحياة إهدى إليها هذا الكتاب وما فيه من وصايا جامعة نافعة من علمها وعمل بها فاز فى الدنيا بالصلاح وفاز فى الآخرة بالفلاح.

صفوت جودة أحمد



بسم الله الرحمن الرحيم

يقول المولى عز وجل:

- ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.
- ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.
- ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

صدق الله العظيم



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأصلى وأسلم صلاة وتسيماً يليقان بمقام أمير الأنبياء وإمام المرسلين. وأشهد أن لا إله إلا الله ولى الصالحين، وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمداً رسول الله، خاتم الأنبياء والمرسلين. صل اللهم وسلم وبارك على هذا النبى الأمين وعلى آله وصحابته الغر الميامين.

وبعد،،،

فما أحوج الإنسان إلى الوصايا المستمرة والتذكير الذى لا ينقطع حتى يسمو الإنسان بنفسه لشرف القرب من ربه قال تعالى: ﴿**وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين**﴾.

وهذا الكتاب الذى بين أيدينا هو «من وصايا القرآن» وقصدت بالوصايا: الوصايا العشر المذكورة فى سورة الأنعام.

وهذه الوصايا العشر لا تختلف باختلاف الأمم حيث إنها قوام الدين كله - إنها قوام حياة الضمير بالتوحيد، وقوام حياة الأسرة، وقوام حياة المجتمع بالتكافل والطهارة فيما يجرى فيه من معاملات وقوام حياة الإنسانية وما يحوط الحقوق فيها من ضمانات مرتبطة بعهد الله.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يهدينا إلى سواء السبيل وأن يكتب هذا الكتاب النجاح والفلاح إنه اكرم مسئول.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

خادم العلم والدين

صفوت جودة أحمد

وصايا القرآن العشر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (سورة الأنعام:١٥١ - ١٥٣).

هذه الآيات الكريمة رسمت للإنسان علاقته بربه علاقه ينال بها السعادة والثواب، ورسمت له علاقته بأسرته بحيث تقوم على المودة والمحبة وسدت فى وجهه أبواب الشر التى تؤدى إلى انتهاك حرمات الأنفس والأموال والأعراض[١].

وقد أطلق العلماء عليها اسم (الوصايا العشر) نظراً لتذييل اياتها الثلاث بقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ﴾.

● عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: من سره أن ينظر إلى وصية محمد التى عليها خاتمه فليقرأ هذه الآيات «قل تعالوا أتل.. إلى قوله: تتقون».

● عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيكم يبايعنى على هؤلاء الآيات الثلاث ثم تلا قوله تعالى: قل تعالوا أتل.. حتى فرغ منها ثم قال: من وفى بهن فاجره على الله. ومن انتقص منهن شيئا فأدركه الله فى الدنيا فكانت عقوبته ومن أخره إلى الآخرة كان أمره إلى الله، إن شاء أخذه وإن شاء عفا عنه[٢].

---

(١) رواه الترمذى - بسنده.

(٢) رواه الحاكم وصححه، وابن أبى حاتم.

● عن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - قال. لما أمر الله نبيه ﷺ ان يعرض نفسه على قبائل العرب، خرج إلى منى وأنا وأبو بكر معه، فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على منازل القوم ومضاربهم. فسلم عليهم وردوا السلام، وكان فى القوم مفروق بن عمرو وهانىء بن قبيصة، والمثنى بن حارثة، والنعمان بن شريك، وكان مفروق بن عمرو وأغب القوم لسانا وافصحهم بيانا، فالتفت إلى رسول الله ﷺ وقال له:

إلى ما تدعو يا أخا قريش: فقال النبى ﷺ ادعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وانى رسول الله وان تؤونى وتنصرونى وتمنعونى حتى اؤدى حق الله الذى أمرنى به، فإن قريشا تظاهرت على أمر الله، وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغنى الحميد.

فقال له مفروق: وإلام تدعو أيضا يا أخا قريش؟ فتلا رسول الله ﷺ «قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم... إلى آخر الآيات الثلاث.

فقال له مفروق: وإلام تدعو أيضا يا أخا قريش؟ فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض ولو كان من كلامهم لعرفناه. فتلا رسول الله ﷺ ﴿**إن الله يأمر بالعدل والاحسان**﴾ الآية.

قال له مفروق: دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، وقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك.

وقل هانىء بن قبيصة: قد سمعت مقالتك، واستحسنت قولك يا أخا قريش، ويعجبنى ما تكلمت به فبشرهم الرسول وإذن ذلك لك يا أخا قريش؟ فتلا رسول الله ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (سورة الأحزاب، ٤٦) ثم نهض رسول الله ﷺ.

وقد تضمنت هذه الوصايا مجموعة من الأوامر والنواهى فمن النواهى: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ

منهَا ومَا بطنَ﴾، ﴿ولا تَقْتلُوا النَّفسَ الَّتي حرَّمَ اللَّهُ إلاَّ بالْحقِّ﴾ ﴿ولا تقْربُوا مَالَ الْيتيمِ إلاَّ بالَّتي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

ومن الأوامر: ﴿وبالْوَالدَيْنِ إحْسَانًا﴾ ﴿وأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْميزَانَ بالْقسْطِ﴾، ﴿وإذَا قُلْتُمْ فَاعْدلُوا﴾، ﴿وبعَهْد اللَّه أَوْفُوا﴾ والأمر والنهى هما من صميم الشريعة الإسلامية، وعليهما تدور أحكام الشريعة ووصاياها وإذ لاحظنا ذلك وجدنا أن لهذا الجمع بين النواهى والأوامر التى حملتها تلك الآيات الثلاث حكمته البالغة لأن الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام كان فى مواجهة الناس جميعا وخاصة المشركين، وهو فى هذا الموقف مطالب بأن يكشف أصول الشريعة التى جاء بها، وما أحل الله للناس وما حرم عليها.

وقد جاءت الآيات الثلاث بالأصول العامة لأحكام الشريعة كلها فيما حرمت وأحلت.

وقد بدئت هذه الوصايا العشر بكلمة «قل» والبدء بكلمة «قل» يدل على نوع خاص من العناية والاهتمام بالمفاهيم والأوامر التى سبقت بها.

ولفظه «تعالوا» تتضمن دعوة المخاطبين إلى علو يراد لهم وارتفاع يدعون إليه. كأن الله يقول للمشركين: ارتفعوا بأنفسكم إلى منهج السماء واسمعوا ما حرمه الله عليكم بدلا من أن تحرموا على أنفسكم أشياء لم يحرمها الله عليكم.

والأصل فى كلمة «تعالى» أن يقولها من كان فى مكان عال لمن هو أسفل منه، ثم اتسع فيها حتى عمت وهى تتضمن إرادة تخليص المخاطبين ورفعتهم من انحطاط هم فيه إلى علو يراد لهم ويدعون إليه، وتتضمن كذلك أن المتكلم يريد منهم أن يلقوا من حوله لتتحد وجهتهم، ولا تتفرق بهم الأهواء والسبل.

وفى قوله «أتل» إيهاء قربى بأن المتكلم يقدر المخاطبين. ويرتفع بهم إلى درجة أنهم لا يحتاجون فى الإرشاد إلا لأن يتلو ما يريدهم أن يعملوه ثم هم بعد ذلك سيمتثلون لحسن استعدادهم لقبول الحق.

وإنه لأسلوب قد بلغ الغاية فى اللطف وفى التكريم وفى حسن الموعظة وتوجيه الخطاب.

وخص التحريم بالذكر مع أن الوصايا قد اشتملت على المحرمات وعلى غيرها لأن سياق الآيات قبل ذلك كان منصبا على كشف ما اخترعه المشركون من تحريم فى الحرث والنسل ما أنزل الله به من سلطان، ولأن بيان أصول المحرمات يستلزم حل ما عداها لأنه الأصل.

قال بعض العلماء: وهذه العبارة التى قدمت بها الوصايا - وهى قل ﴿**تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم**﴾ فيها إشعار بأن الحقائق الأولى التى قام عليها الجدال فى السورة قد أصبحت واضحة لا مفر من قبولها والبناء عليها. فالله - تعالى - يأمر رسوله بأن يبلغهم. وإذن فهناك إله من شأنه أن يرسل الرسل.

وهناك رسل من شأنهم أن يتلقوا عن الله، وهناك محرمات وردت من المصدر الذى يحق له التحريم وحده لأنه هو الرب «ما حرم ربكم» ثم هناك لازم عقلى لهذا التحريم هو أن من تعداه وانتهكه كان مغضباً للرب الذى قرره مستحقاً لعقوبته، وإذن فهناك دار للجزاء(1).

● عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: خط رسول الله ﷺ خطًا بيده ثم قال: هذا سبيل الله تعالى مستقيمًا، ثم خط خطوطًا عن يمين ذلك الخط وعن شماله، ثم قال: وهذه السبل ليس فيها سبيل إلا وعليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ ﴿**وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**﴾.

وبعد، فهذه هى الوصايا العشر تضع أساس العقيدة فى توحيد الله، وتبنى الأسرة على أسس أخلاقية فاضلة، وتنادى الأسرة على أسس أخلاقية فاضلة، وتنادى بالحفاظ على حرمة الأنفس والأموال والأولاد، ثم تربط التقوى بالتزام صراط الله المستقيم.

---

(1) راجع تفسير سورة الأنعام للدكتور/ محمد السيد طنطاوى عميد أصول الدين بأسيوط الطبعة الثالثة مطبعة السعادة ١٩٨٣م.

الوصية الأولى

النهى عن الإشراك بالله

النهى عن الإشراك بالله: هو إفراد الله تعالى بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتًا وصفاتًا وأفعالاً.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (سورة الكهف آية ١١٠).

وقال جل شأنه ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا * وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ (سورة الإسراء آية ٢٢، ٢٣).

وقال عز من قائل: ﴿هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (سورة ابراهيم آية ٥٢).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (سورة محمد آية ١٩).

صدر سبحانه وتعالى هذه الوصايا بالنهى عن الشرك لأنه أعظم المحرمات وأكبرها إفساداً للفطرة ولأنه هو الجريمة التى لا تقبل المغفرة من الله بينما غيره قد يغفره سبحانه قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ (سورة النساء آية ١١٦).

لقد سجل القرآن الكريم ألوان الشرك التى كانت سائدة فى جو الجزيرة العربية قبل البعثة المحمدية: فبعضهم عبد أكثر من إله، وعن ذلك يقول القرآن فى سورة الأنبياء: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً﴾ (سورة الأنبياء آية ٢٤). وبعضهم وهم المثنوية: اتخذوا إلهين اثنين وعن ذلك يقول القرآن:

﴿وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ (سورة النحل آية ٥١).

وبعضهم اعترف بالله وأنكر البعث: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ (سورة الأنعام آية ١٠٩).

اعترفوا بالألوهية وأقسموا بالله على ما أنكروه من بعث بعد الموت وبعضهم وهم الدهريون اللادونيون الذين قالوا إن هى إلا أرحام تدفع وأرض تبلغ وما يهلكنا إلا الدهر. فأنكروا الألوهية والبعث معاً: ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (سورة الأنعام آية ٢٩).

وبعضهم جعل لله البنات ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ (سورة النحل آية ٥٧)

وبعضهم أسند الولد إلى الله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ (سورة البقرة آية ١١٦). ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ﴾ (سورة التوبة آية ٣٠).

وبعضهم كما قال الله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (سورة الأنعام آية ١٠٠).

أما عبده الملائكة فيقول القرآن عنهم: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (سورة سبا آية ٤٠).

وعن هؤلاء الذين يعبدون الأشخاص والرؤساء والأبطال يقول القرآن فى سورة الأعرف: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (سورة الأعراف آية ١٩٤).

ولم تكن عبادة الأصنام لذات الأصنام، بل كانت واسطة بين العابدين والمعبود الأكبر، كانت وسيلة إلى التقرب إلى الله ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ (سورة الزمر آية ٣).

أو لأنها تشفع لهم عند الله يوم القيامة: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ (سورة يونس آية ١٨).

وعن موقف القرآن من عقيدة الشرك هذه بأشكالها وألوانها نراه قد خص هذه العقيدة بعديد من الآيات التي تعرضت لها، وعرضت بها في مواضع كثيرة، كما ناقش القرآن مفاهيمها واتجاهاتها نقاشاً منطقياً موضوعياً، فنقدها ونقضها، ورد كل مزعم، ودحض كل فرية، وأبان في النهاية عن العقيدة الحقة: عقيدة التوحيد والوحدانية.

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (سورة الإخلاص آية ١-٤).

وقد حكم القرآن بادئ ذي بدء بأن الله لا يقبل الشرك ولا يغفره:

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ (سورة النساء آية ٤٨).

وأن الشرك إثم عظيم. ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (النساء آية ٤٨).

كما حكم بأن المشركين نجس ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ (سورة التوبة آية ٢٨).

وأن الشرك محبط العمل ومفض إلى الخسران ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (سورة الزمر آية ٦٦).

ثم يعرض القرآن فى أكثر من موضع دعوى اتخاذ الله ولدًا، ويدحضها،مبينًا فى قوة ووضوح ومنطق وإقناع، وبأكثر من حجة وبرهان أن الله منزه عن ذلك ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ * بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾(١).

وفى قوة قوية ينفى الولد والشريك ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾(٢).

ويستنكر ذلك على زاعميه، مبيناً أنه لا يكون الولد إلا إذا كانت هناك الزوجة التى تلد الولد ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ﴾(٣).

ويعرض فى مواطن آخر لهذا المزعم فيسجل غناه عن اتخاذ الولد، وينعى على أصحاب هذا المتجه اتجاههم وتقواهم وافتراءهم ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾(٤).

كما قرر القرآن أن هؤلاء الذين دعوهم أبناء الله، ليسوا سوى عباد الله، مقررين ألوهية الله مقرين بعبوديتهم لله، وعبادتهم له، خاضعين لمشيئته، مشفقين من خشيته، معترفين بوحدانيته، لذا كان اعتراف هؤلاء المعبودين أنفسهم بأنهم عباد الله من أقوى الأدلة على هدم دعوى من ادعى أنهم أبناء الله.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾(٥).

---

(١) سورة البقرة آية (١١٧).
(٢) سورة الأنعام آية (١٠١).
(٣) سورة المؤمنون آية (٩١).
(٤) سورة يونس آية (٦٨).
(٥) سورة الأنبياء آية (٢٦).

وعن ضعف الشركاء ومهانة الآلهة المدعاة وعجز الأصنام تنطق بذلك كله تلك الصورة القرآنية التى مثلت الضعف فى أقوى صورة، وأبرزت عجز هؤلاء الذين ادعى المشركون أنهم آلهة قادرون يمنحون ويمنعون.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(١).

موقف المشركين من المؤمنين:

إن المشركين يضمرون للمؤمنين الضغن، ولا يودون لهم الخير وأعظم ما يكرهونه للمؤمنين هو هذا الدين. وأن يختارهم الله لهذا الخير وينزل عليهم هذا القرآن ويحبوهم بهذه النعمة.

قال تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾(٢).

وقوله: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾(٣).

وقوله: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾(٤).

التوحيد أصل الفطرة والشرك أمر طارىء:

التوحيد دعوة الرسل منذ بعثهم الله للناس. قال تعالى : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾(٥).

---

(١) سورة الحج آية (٧٤).
(٢) سورة البقرة آية (١٠٥).
(٣) سورة آل عمران آية (١٨٦).
(٤) سورة المائدة آية (٨٢).
(٥) سورة الروم آية (٣٠).

وقــوله: ﴿وَمَـا أَرْسَلْنَا مِن قَـبْلِكَ مِن رَّسُـولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْـهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾(١).

وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾(٢).

أما الشرك فهو أمر طارىء فنشأ متمثلا فى عبادة الأصنام فى عهد نوح عليه السلام بدأ أولا بتعظيم أشخاص «ودًا، وسواعًا ويغوث، ويعوق، ونسرا». فى حياتهم فما رحلوا عن الحياة صنعوا لهم تماثيل فزين الشيطان للناس أن هذه هى الآلهة ثم اتسع الشرك بعد ذلك وأخذ ألوانا كثيرة. فمن الناس من يشركون الجن، ومنهم من يشركون الملائكة، ومنهم من يشركون الأجداد والآباء، ومنهم من يشركون الملوك والسلاطين، ومنهم من يشركون الكهان والأحبار، ومنهم من يشركون الأشجار، والأحجار، ومنهم من يشركون الكواكب والنجوم، ومنهم من يشركون النار، ومنهم من يشركون الليل والنهار، ومنهم من يشركون القيم الزائفة، والرغائب والأطماع ولا تنتهى أنماط الشرط وأشكاله فالشرك أخفى من دبيب النمل.

● عن أبى على أن رجل من بنى كاهل. قال: خطبنا أبو موسى الأشعرى فقال يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فأنه أخفى من دبيب النمل فقام إليه عبد الله بن حزم وقيس بن المضارب. فقال: والله لتخرجن مما قلت أو لنأتين عمر مأذونًا. فقال: بل أخرج مما قلت: خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل فقال له من شاء الله أن يقول: وكيف ننفيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ قال: قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئًا نعلمه، ونستغفرك لما نعلمه(٣).

(١) سورة الأنبياء آية (٢٥).

(٢) سورة النحل آية (٣٦).

(٣) أخرجه أحمد بن حنبل جـ٤ ص ٣٠٤ ط بيروت.

آثار الشرك:

الشرك بالله له آثاره السيئة وعواقبه الوخيمة فى الدنيا والآخرة على الفرد والجماعة.

ومن بين هذه الآثار:

١- الإشراك بالله يحبط العمل:

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(١).

٢- المشركون محرومون من الأمان فى الدنيا:

المشركون يعيشون فى رعب وخوف وفزع لأن قلوبهم خاوية من السند الصحيح فهم أشركوا بالله آلهة لا سلطان لها ولا قوة.

قال تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾(٢).

أما المؤمن الذى يوحد ربه ولا يتجه لأحد سواه لا يخاف أحدا وكيف يخاف؟

ولقد وجه إبراهيم قومه بذلك المنطق السليم قال تعالى ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾(٣). والظلم هو الشرك بالله.

٣- المشركون مطرودون من رحمة الله فى الآخرة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾(٤).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾(٥).

---

(١) سورة الأنعام آية (٨٨). (٢) سورة آل عمران.
(٣) سورة الأنعام آية (٨٠، ٨٢). (٤) سورة النساء آية (١١٦). (٥) سورة المائدة آية (٧٢).

الوصية الثانية

الإحسان إلى الوالدين

لقد جاء الأمر بالإحسان إلى الوالدين، بعد النهى عن الشرك بالله، لأن أهم رابطة بعد رابطة العقيدة هى رابطة الأسرة من أجل ذلك ربطت الآية بر الوالدين بالنهى عن الإشراك بالله تبياناً لقيمة هذا الإحسان الأسرى عند الله، ودلالة قرآنية على قيمة البر بالوالدين فى الإسلام..

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾(١).

وقوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾(٢).

وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾(٣).

وقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾(٤).

- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى العمل أفضل قال: الصلاة على وقتها، قلت: ثم أى قال: بر الوالدين قلت: ثم أى؟ قال: الجهاد فى سبيل الله قال ابن مسعود: حدثنى بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو استزدته لزادنى.

- عن الإمام مسلم رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: من أحق الناس بحسن صحابتى؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أبوك».

---

(١) سورة البقرة آية (٨٣).
(٢) سورة النساء آية (٣٦).
(٣) سورة الإسراء آية (٢٣).
(٤) سورة الأنعام آية (١٥١).

قال شراح الحديث:

هذا السائل يعلم أن من ذوى قرابته ورحمه من أهل للصحابة، ولكنه يريد معرفة مراتب هؤلاء فى الصحبة، وأيهم أحق بها وأولى من الآخر. ومعنى الصحبة والصحابة: المصاحبة والمعاشرة.

وقد استدل العلماء بهذا الحديث على تأكد حق الأم على حق الأب، وأن لها من البر ثلاثة أمثال ما للأب.

وكان ذلك لما تتحمله الأم، وتتعرض له من الضعف والوهن طوال مدة الحمل ثم ما تعانيه من ألم المخاض والوضع ثم ما تقوم به من إرضاع الطفل والسهر على راحته مدة عامين. وهذه الثلاثة تنفرد بها الأم ثم بعد ذلك تشارك الأب فى التربية وحسن الرعاية والعناية طيلة حياته. وكم من أم نال من صحتها الحمل. وكم من الأمهات من أخد بهن الوضع، وسبب لهن أمراضا مزمنة. وأى أم لم تسهر الليالى الطوال ولم يلازمها الأرق والسعاد إذا ما بكى طفلها أو أرق أو توعك؟ فليس بعجيب من المشرع الحكيم العليم بخفايا الأمور أن يجعل للأم من الحقوق أضعاف ما للأب. وقد أشار الحق تبارك وتعالى إلى هذا فى قوله سبحانه:

﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾(١).

وفى قوله سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾(٢).

فقد ذكر بعد الوصية بالوالدين ما تختص به الأم عن الأب تنبيها إلى عظم حقها، وإيثارها على الأب بالتقديم.

فالآية الأولى ذكرت الحمل والفصال. والثانية ذكرت آلام الحمل والوضع وما تتحمله فى الرضاع.

---

(١) سورة لقمان آية (١٤).
(٢) سورة الأحقاف آية (١٥).

ويؤيد تقدم حق الأم واختصاصها بهذه الأمور الثلاثة حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده «أن امرأة قالت: يا رسول الله إن ابنى هذا كان بطنى له وعاء، وثدى له سقاء، وحجرى له حواء وإن أباه طلقنى وأراد أن ينزعه من فقال: أنت أحق به مالم تنكحى»[١].

وبر الوالدين يكون بطاعتهما فيما ليس بمعصية، والإحسان إليها، والتواضع لهما، وعدم الإساءة إليهما بقول أو فعل، والشفقة عليهما، والتودد إليهما، واستعمال غاية الأدب فى خطابهما ودعائهما فى حياتهما، والدعاء لهما والإحسان إلى أصدقائهما وذوى قرباهما بعد وفاتهما.

ولا يختص بر الوالدين بأن يكونا مسلمين، بل ولو كانا كافرين، يبرهما ويحسن إليهما، إذا كان لهما عمر وليسا حربيين.

قال تعالى: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[٢].

وقال: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[٣].

وعن أسماء رضى الله عنها قال: قدمت أمى مشركة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله إن أمى قدمت وهى راغبة، أفأصل أمى قال: نعم، صلى أمك»[٤].

وفى رواية أخرى فأنزل الله عز وجل: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[٥].

---

(١) أخرجه ابو داود والحاكم.
(٢) سورة لقمان آية (١٥).
(٣) سورة الممتحنة آية (٨).
(٤) أخرجه البخارى.
(٥) سورة الممتحنة آية (٨).

● عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال: «جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم يستأذنه فى الجهاد. فقال: أحى والدك؟ قال: نعم قال: ففيهما فجاهد»(١).

روى النسائى وأحمد من طريق معاوية بن جاهمة أن جاهمة جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أردت الغزو وجئت لأستشيرك. فقال: هل لك من أم؟ فقال: نعم. قال: الزمها فإن الجنة عند رجليها».

ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم «أحى والدك» يفيد هذا الاستفهام أن المفتى عليه أن يستفهم عن حال المستفتى ليدله على سبيل الرشاد. وطريق الهدى حتى يتحقق له ما ينجيه من خزى الدنيا وعذاب الآخرة.

قوله صلى الله عليه وسلم «ففيهما فجاهد» أى ابذل جهدك فى برهما والإحسان إليهما وحسن معاشرتهما فإن ذلك يقوم مقام قتال الأعداء.

إذ إن فى برهما والإحسان إليهما جهادًا للنفس. وجهاد النفس فيه بذل المشقة، وتوطيد العزم.

وروى أبو داود بسنده عن أبى سعيد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ارجع فاستأذنهما فإن أذنا لك فجاهد وإلا فبرهما».

وهذا الحديث صريح فى إذنهما فى الجهاد. وقد أفتى جمهور العلماء بأنه لا يجوز الجهاد إلا بأذن الوالدين إذا كانا مسلمين مستدلين بهذا الحديث وذلك لأن برهما فرض عين. والجهاد فى بعض أحواله فرض كفاية. والأول مقدم على الثانى وهذا إذا لم يكن حاضراً فى صف المقاتلين أو لم يتعين عليه القتال أو إذا لم يدع الإمام إلى النفير العام.

فإذا كان فى الصف أو تعين عليه القتال أو أذن الإمام بالنفير العام فلا يجب عليه الاستئذان.

---

(١) رواه الإمام مسلم.

وقد استدل العلماء بحديث الاستئذان أيضا على تحريم السفر بغير إذن الوالدين لأن الجهاد إذا منع منه عدم إذنهما مع فضيلته ومنزلته فى الدين فبالسفر المباح أولى.

أما السفر للحج فإن كان حج فريضة فلا يتوقف على الإذن. وإن كان حج تطوع فيتوقف على استئذانهما أو استئذان الحى منهما.

● وقد جاء فى حديث آخر أن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: «أقبل رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغى الأجر من الله. قال: فهل من والديك أحد حى؟ قال: نعم بل كلاهما، قال: فتبتغى الأجر من الله؟ قال: نعم. قال: فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما».

● قال الإمام مسلم بن الحجاج: حدثنا شيبان بن فروح حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا حميد بن هلال عن أبى رافع عن أبى هريرة أنه قال: «كان جريج يتعبد فى صومعه فجاءت أمه. قال حميد: فوصف لنا أبو رافع صفة أبى هريرة لصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أمه حين دعته كيف جعلت كفها فوق حاجبها ثم رفعت رأسها إليه تدعوه فقالت يا جريج أنا أمك كلمتى، فصادفته يصلى، فقال: اللهم أمى وصلاتى.

فأختار صلاته. فرجعت ثم عادت فى الثانية فقالت: يا جريج أنا أمك فكلمنى. قال: اللهم أمى وصلاتى: فاختار صلاته. فقالت: اللهم إن هذا جريج وهو ابنى وإنى كلمته فأبى أن يكلمنى، اللهم فلا تمته حتى تريه المومسات.

قال: ولو دعت عليه أن يفتن لفتن. قال: وكان راعى ضأن يأوى إلى ديره، قال: فخرجت امرأة من القرية فوقع عليها الراعى فحملت فولدت غلاما، فقيل لها: ما هذا؟ قالت من صاحب هذا الدير. قال: فجاءوا بفوؤسهم ومساحيهم فنادوه، فصادفوه يصلى، فلم يكلمهم، فأخذوا يهدمون ديره، فلما رأى ذلك نزل إليهم، فقالوا له: سل هذه، فتبسم ثم مسح رأس الصبى فقال: من أبوك؟ قال: أبى

راعى الضأن، فلما سمعوا ذلك منه قالوا: نبنى ما هدمناه من ديرك بالذهب والفضة. قال: لا ولكن أعيدوه كما كان ثم علاه».

أما جريج فقد كان عابدا من عباد بنى إسرائيل، وكان له صومعة يعبد الله فيها.

وقد روى الإمام أحمد رضي الله عنه ما يبين لنا سبب ترهبه فقال: «كان رجل من بنى إسرائيل تاجرا، وكان ينقص مرة ويزيد مرة أخرى، فقال: ما فى هذه التجارة خير، لألتمسن تجارة هى خير من هذه، فبنى صومعته وترهب فيها وكان يقال له جريج - فذكر الحديث».

وقد دلت هذه الرواية على أنه كان بعد عيسى بن مريم عليه السلام وأنه كان من أتباعه لأن الدين ابتدعوا الترهب وحبس النفس فى صوامع كانوا بعد عيسى عليه السلام.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾(١).

بيان نص الحديث:

قالت راوية الحديث: «فجاءت أمه. قال حميد: الوصف لنا أبو رافع صفة أبى هريرة لصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أمه حين دعت كيف جعلت كفها فوق حاجبها ثم رفعت رأسها إليه تدعوه».

وإذا كان أبو هريرة قد نقل صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخبر عن أم جريج فذلك على تثبته من الرواية كأنها ماثلة أمامه، شاخصة يراها رأى العين.

(١) سورة الحديد آية (٢٧).

وكذلك المعنى متحقق فى رواية أبى رافع فى روايته عن أبى هريرة فقالت: يا جريج أنا أمك كلمنى، فصادفته يصلى. فقال: اللهم أمى وصلاتى».

وفى رواية أخرى: «أن أمه كانت تأتيه فتناديه فيكلمها، فأتته يوما وهو فى صلاته فدعته فقال: اللهم أمى وصلاتى.

ومعنى قوله: «اللهم أمى وصلاتى» هذا كلام دار فى نفسه وهو يصلى دون أن يتلفظ به لسانه، فكأنه تردد بين أمرين: هل أرد على أمى وأترك الصلاة؟ أم أصلى ولا أجيبها إلا بعد أن أكمل الصلاة.

وهذا مما يدل على أنها نادت عليه وهو فى الصلاة. وتفيد روايات الحديث أنها نادت عليه ثلاث مرات فى ثلاثة أيام، وصادف كل ذلك أن تأتيه وهو فى الصلاة، وهذا مما أثار حفظيتها وغضبها وجعلها تقول ما قالت.

قال الامام النووى فى شرحه على مسلم: «قال العلماء: هذا دليل على أنه كان الصواب فى حقه إجابتها لأنه كان فى صلاة نفل والاستمرار فيها تطوع لا واجب وإجابة الأم وبرها واجب وعقوقها حرام. وكان يمكنه أن يخفف فى صلاته ويجيبها ثم يعود إلى صلاته، فلعله خشى أنها تدعوه لمفارقة صومعته والعود للدنيا ومتعلقاتها وحظوظها، وتضعف عزمه فيما نواه وعاهد عليه».

المالكية: إن أجابة الوالد فى النافلة أفضل من التمام فيها.

قال الإمام القرطبى: جريج كان عابدًا ولم يكن عالما، إذ بأدنى نظر ترجح الإجابة لأن البر واجب وصلاة النفل ندب فلا تعارض يوجب الإشكال فكان يخفف ويقطع، لا سيما وقد تكررت إليه لشوقها واحتياجها لمكالمته، وهذا أدلة يعين إجابتها، ألا ترى أنه أغضبها بإعراضه عنها وإقباله على صلاته، ويعبد اختلاف الشرائع فى وجوب البر، وعند ذلك دعت فأجاب الله دعاءها تأديبا له وإظهار لكرامتها».

ومن هذا الحديث نعلم أن جريج مر بهذه المحنة بسب دعاء أمه عليه، لما لم

يجبها وهو فى صلاته، ولكن الله أنجاه منها وأبرأة مما نسب إليه كذبا بفضل صلاته وعبادته واستقامته.

وقد أعظم الناس أمره بعد هذا وندموا على ما فعلوا به وبديره، وعرضوا عليه أن يبنوه بالذهب والفضة، ولكنه أبى إلا أن يكون بالطيب كما كان، ثم علاه واستمر فى انقطاعه إلى عبادة ربه.

● عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف، قيل: من يا رسول الله؟ قال: من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة».

معنى «رغم أنف» أى: ذل وهان.

وكرر النبى ﷺ هذه الجملة ثلاث مرات للتوكيد.

قوله ﷺ: «أحدهما أو كليهما» يفيد أن بر أحدهما عند موت الآخر كاف فى دخول الجنة ورضى الله.

قوله: «عند الكبر» فذلك لبيان الحال التى يكونان فيها فى مسيس الحاجة إلى البر والإحسان.

قوله ﷺ: «فلم يدخل الجنة أى يكونان سببا فى عدم دخوله الجنة».

والمعنى: ذل وخاب وهلك من أدرك تلك الفرصة المواتية التى هى موجبة للفوز بالجنة، والتمتع بنعيمها المقيم، ثم لم ينتهزها ويغتنمها، ومثل هذا مما يستبعد إذا الأليق بالمؤمن العاقل أن يقتنص الفرصة لا أن يضيعها ويفرط فيها.

المنهج الصحيح فى بر الوالدين:

يقول فضيلة الدكتور محمد أبو شهبة: قد وضح الله لنا المنهج الصحيح لبر الوالدين فقال عز شانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[1].

(١) سورة الإسراء آية (٢٣، ٢٤).

فقد أكد الله الوصية بالوالدين ولو لم يكن إلا أنه شفع الإحسان إليها بتوحيده ونظمها فى سلك واحد لكفى، فما بالك وقد جعل رضاهما من رضاه، وغضبهما من غضبه.

فعن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «رضا الله تعالى فى رضا الوالدين، وسخط الله تعالى فى سخط الوالدين»[١].

بل جعل الله العمل فى مرضاتهما وخدمتهما والقيام بشئونهما مقدما على الجهاد.

● قال ﷺ: لما جاءه رجل يستأذن فى الجهاد، فقال له: «أحى والدك؟ قال نعم. قال: ففيهما فجاهد».

وجاء عنه ﷺ أنه قال: «لو علم الله تعالى شيئا أدنى من الأُف لنهى عنه - سبحانه - فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار».

رأى ابن عمر رضى الله عنهما، رجلا يطوف بالكعبة حاملا أمه على رقبته فقال: يا ابن عمر أترانى جزيتها؟ قال: لا ولا بطلقة وهى ما تحدث للمرأة عند ألم المخاض. واحدة، وكذلك أحسنت والله يثيبك على القليل كثيرًا».

وروى مسلم وغيره «لا يجزى ولد والده إلا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه».

وروى ابن ماجة: «أن رجلا أتى النبى ﷺ فقال يا رسول الله هل بقى من بر أبوىّ شىء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: نعم. الصلاة عليهما والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما».

● عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق الخلق. حتى

(١) رواه ابن حبان والحاكم، وقال صحيح على شرط الترمذى.

إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال: نعم: أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت: بلى قال: فذاك لك. ثم قال رسول الله ﷺ: اقرؤا إن شئتم:

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ * أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾(١).

● وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلنى وصله الله، ومن قطعنى قطعه الله».

المراد بالخلق فى قوله ﷺ: «إن الله خلق الخلق أى جميع المخلوقات».

المراد «بفرغ» أى أتم وقضى بموت حتى إذا أكمل خلقهم. ولا يمكن أن يراد أنه كان تعالى مشغولاً ثم فرغ إذ أنه جل شأنه لا يشغله سائل ولا ينقصه نائل. والرحم هو بيت الجنين الذى يخلق فيه، أطلق هذا اللفظ وأريد به القرابة لأن الرحم هو سبب القرابة. قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾(٢).

وقال ﷺ: «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلنى وصله الله، ومن قطعنى قطعه الله».

والمراد بتعلقها بالعرش الكناية عن قربها من ربها، وزيادة إكرامها، والعناية بها وأن أكرمها: يصل من يصلها، ويقطع من يقطعها.

(١) سورة محمد آية (٢٢:٢٤).
(٢) سورة النساء آية (١).

يقول فضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبو شهبة ما نصه:

«ومما ينبغى أن يعلم أن قطع الرحم هو ترك صلتها والإحسان إليها وهو كبيرة من الكبائر، وهو المعول عليه عند العلماء».

وقد ورد فى الزجر والتنفير من قطع الرحم أحاديث كثيرة منها:

● عن أبى موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة مدمن خمر ولا مصدق بسحر، ولا قاطع رحم»(١).

● عن أبى بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من ذنب أجدر أن يؤجل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخر له فى الآخرة من البغى وقطيعه الرحم»(٢).

● عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أعمال بنى آدم تُعرض كل عشية خميس ليلة جمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم»(٣).

● عن أبى مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أبواب السماء مغلقة دون قاطع الرحم»(٤).

● عن ابن أبى أوفى قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم»(٥).

قال الطيبى فى بيان معناه: «يحتمل أن يراد بالقوم الذين يساعدونه على قطيعة الرحم ولا ينكرون عليه، ويحتمل أن يراد بالرحمة المطر وأنه يحبس عن الناس عموما بشؤم القاطع».

ولهذا عنى الإسلام عناية فائقة بصلة الرحم العامة والخاصة، ودعا إلى هذا فى غير آية من الكتاب.

(١) أخرجه ابن حبان والحاكم.
(٢) رواه أبو داود.
(٣) رواه البخارى فى الأدب المفرد.
(٤) رواه الطبرانى.
(٥) رواه البخارى فى الأدب المفرد.

قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي القـ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السـ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾(١).

وقال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ، الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾(٢).

● عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سره أن يبسط له في رزقه أو ينسأ في أثره، فليصل رحمه»(٣).

في هذا الحديث يتبين الآتي:

١- سعة الرزق.

٢- البركة في العمر.

أما سعة الرزق فإن الله جل شأنه وعد على فعل الخير بما هو خير منه.

قال تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾(٤).

والعبرة في الحياة ليست بطول أيام الأجل، بل إن خير الناس من طال عمره وحسن عمله، وشر الناس من طال عمره وساء عمله.

وعمل بلا بركة لا خير فيه، بل هو كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف

وإن حياة الناس لا تقاس بطولها، وإنما بما أنجزوا فيها من عظائم الأمـ كعلم نافع، أو صدقة جارية إلى غير ذلك مما يصل ثوابه للإنسان بعد موته مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾(٥).

---

(١) سورة النساء آية (٣٦).

(٢) سورة البقرة آية (٨٣).

(٣) رواه مسلم بسنده.

(٤) سورة النمل آية (٨٩).

(٥) سورة يس آية (١٢).

إذا علم ذلك فلا تناقض إطلاقا بين قوله صلى الله عليه وسلم «وينسأ له فى أثره» وبين قوله تعالى ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾(١).

لأن المقصود مما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو البركة فى العمر، بحيث يأتى بالباقيات الصالحات، وبها ينفع الله به البلاد والعباد، ولو كان ذلك فى عمر غير طويل.

● عن أبى هريرة أن رجلا قال: يا رسول الله: إن لى قرابة أصلهم ويقطعونى، وأحسن إليهم ويسيئون إلى، وأحلم عنهم ويجهلون على، فقال: لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم بالمل، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك»(٢).

تضمن هذا الحديث النبوى أمهات الفضائل فالوصل عند القطيعة فضيلة لا يقوى عليها إلا ذوو المروءات العالية، وأولو الأنفس البصيرة.

والإحسان عند الإساء منزلة تتضاءل عندها شتى المنازل.

والحلم عند الجهالة والسفه، مكانة لا يقوى عليها إلا الذين صبروا ولا ينالها إلا من رزق الخط العظيم.

﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾(٤).

● روى أن رسول الله ﷺ سأل جبريل عنها فقال جبريل: حتى أسأل ربى، ثم عاد فقال للنبى صلى الله عليه وسلم: «أن تصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك، وتعطى من حرمك».

---

(١) سورة المنافقين آية (١١).
(٢) رواه مسلم.
(٣) سورة فصلت آية (٣٤، ٣٥).
(٤) سورة الأعراف آية (١٩٩).

● وقال ﷺ: وسلم «ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها».

● وقوله ﷺ: «لئن كنت كما قلت فكأنها تسفهم المل».

المل: هو الرماد الحار، وهذا كناية عن أن أعمالهم من القطيعة عند الصلة، والإساءة عند الإحسان والجهالة بدل الحلم كأنها نار تحرق حلوقهم، وتقطع أمعاءهم.

ويرحم الله أبا بكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما حلف ألا يؤتى مسطح بن أثاثة شيئا بن الصلة التى تعود أن يصله بها لفقرة، وذلك عندما تكلم فى عرض أم المؤمنين عائشة الطاهرة البتول، فاغتاظ الصديق لذلك، وصمم على قطع العطاء فنفسه حزينه لما سمع.

لكن رب العالمين أرسل سفير الأنبياء وكبير أمناء وحى السماء بقرآن يتلى إلى يوم القيامة قال جل شأنه.

﴿وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

وهكذا حسم الموقف.

وما أن سمع أبو بكر الصديق هذا التوجيه الربانى حتى قال: إنى أحب أن يغفر الله لى. وواصل العطاء.



(١) سورة النور آية (٢٢).

الوصية الثالثة

النهى عن قتل الأولاد

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾(١).

بعد أمر الله سبحانه وتعالى الأنبياء بالبر بالوالدين أمر الآباء بعدم قتل الأولاد خشية الإملاق فالله رازق للجميع.

الإملاق: الفقر مصدر أملق الرجل إملاقا إذا احتاج وافتقر: لا تقتلوا أولادكم الصغار من أجل الفقر فنحن قد تكلفنا برزقكم ورزقهم.

وقال فى سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾(٢).

نهى عن قتل الأولاد بعد بيان أن الأرزاق بيده سبحانه يبسطها لمن يشاء ويضيقها على من يشاء.

قال الآلوسى: وظاهر اللفظ النهى عن جميع أنواع قتل الأولاد ذكورًا كانوا أو إناثا مخافة الفقر والفاقة.

لكن روى أن من أهل الجاهلية من كان يئد البنات مخافة العجز عن النفق عليهن، فنهى فى الآية عن ذلك، فيكون المراد بالأولاد البنات، وبالقتل الوأد...(٣).

أى: ولا تقتلوا أيها الآباء أولادكم خشية فقر متوقع فنحن قد تكلفنا برزقهم ورزقكم، وأرزاق غيركم من مخلوقاتنا التى لا تحصى.

وقد ورد النهى عن قتل الأولاد فى هذه الآية وورد فى آية سورة الأنعام فى قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾.

---

(١) سورة الأنعام آية (١٥١).

(٢) سورة الإسراء آية (٣١).

(٣) تفسير الآلوسى جـ١٥ ص ٦٦.

وليست أحداهما تكرارًا للأخرى، وإنما كل واحدة منهما تعالج حالة معينة.

فهنا يقول سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ لأن النهى موجه بالأصالة إلى الموسرين، الذين يقتلون أولادهم لا من أجل فقر كائن فيهم، وإنما من أجل فقرهم يتوهمون حصوله فى المستقبل بسبب الأولاد، لذا قال سبحانه ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ فقدم رزق الأولاد لأنهم سبب توقع الفقر، فى عزم آبائهم - لكى يمتنع الآباء عن هذا التوقع ولكى يضمن للأولاد رزقهم ابتداء مستقلا عن رزق الآباء.

قال سبحانه فى آية سورة الأنعام: ﴿مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾ لأن النهى متوجه أصالة إلى الآباء والمعسرين: أى لا تقتلوهم بسبب الفقر الموجود فيكم - أيها الآباء - فقد يجعل الله بعد عسر يسرا. ولذا قال - سبحانه ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ فجعل الرزق للآباء إبتداء لكى يطمئنهم - سبحانه - على أنه هو الكفيل يرزقهم وبرزق أولادهم.

وفى كلا الحالتين القرآن الكريم ينهى عن قتل الأولاد ويغرس فى نفوس الآباء الثقة بالله - تعالى - والاعتماد علية.

يقول الإمام الرازى عند تفسير هذه الآية ما ملخصه:

إن قتل الأولاد وإن كان لخوف الفقر فهو سوء ظن بالله. وإن كان لأجل الغيرة على البنات فهو سعى فى تخريب العالم. فالأول ضد التعظيم لأمر الله تعالى - والثانى ضد الشفقة على خلقه، وكلاهما مذموم(١).

ولقد أمر النبى ﷺ برعاية الأبناء، وحذر من الإعتداء عليهم فى أحاديث كثيرة ومن ذلك ما جاء فى الصحيحين:

عن عبدالله بن مسعود قال: قلت يا رسول الله، أي الذنب أعظم؟ قال: أن

(١) تفسير الفخر الرازى جـ٢ ص ١٩٦.

تجعل لله ندا وهو خلقك. قلت: ثم أى؟ قال: أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك. قلت ثم أى؟ قال: أن تزنى بحليلة جارك(١).

● وكان بعض أهل الجاهلية يقتلون البنات خشية الفقر فبين الله تعالى أنه يضمن رزق الجميع.

قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾(٢).

وقال فى آية أخرى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾(٣).

وقال فى آية أخرى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾(٤).

أعلم: أنه لا يضيق الرزق، ولا ينزع البركة منه إلا الذنوب إن الرجل ليحرم الرزق من الذنب نصيبه.

ويقول أحد الصالحين: إنى لأرى شؤم المعصية فى دابتى.

وأعلم أن الرزق لا بد أن يصيب صاحبه مهما كان وأيا كان.

فلو ركب ابن آدم الريح فرارا من رزقه لركب الرزق البرق حتى يصب فى فمه.

واعلم بأن روح القدس جبريل نفث فما روع رسول الله ﷺ بأنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب.

واعلم أن الله يهلك الأمم بذنوبها، ويضيق عليها أرزاقها بمعاصيها.

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾(٥).

(١) أخرجه البخارى ومسلم - تفسير ابن كثير جـ٥ ص ٦٩.
(٢) سورة الذاريات آية (٢٢).
(٣) سورة الذاريات آية (٥٨).
(٤) سورة هود آية (٦).
(٥) سورة الأنعام آية (٦).

وقال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾(١).

وقال سبحانه:

﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(٢).

● عن ابن عمر رضى الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يا معشر المهاجرين: خصال خمس - إن ابتليتم بهن ونزلن بكم، أعوذ بالله أن تدركوهن : «لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا اخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطرة من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدو من غيرهم فيأخذ بعض ما فى أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم»(٣).

هذا حديث جامع يبين لنا فيه رسول الله ﷺ أن الذنوب مضيقات للرزق مهلكات للخير، نازعات للبركة. وإذا كان ذلك كذلك، فإن الطاعات على عكس ذلك، فهى موسعات للرزق، جالبات للبركة والخيرات.

● عن أبى كبشة الأنمارى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاثة أقسم

(١) سورة التوبة آية (٣٤-٣٥).
(٢) سورة آل عمران آية (١٨٠).
(٣) رواه ابن ماجة والبزار والبيهقى.

عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه: ما نقص مال من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله بها عزًا، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر»(١).

● عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله عز وجل يقبل الصدقات ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم كما يربى أحدكم مهرة أو فلوه أو فصيلة، حتى إن اللقمة لتصير مثل جبل أحد(٢)، قال وكيع: وتصديق ذلك فى كتاب الله قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾(٤).

● عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أتى رجل من تميم رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنى ذو مال كثير، وذو أهل ومال وحاضرة، فأخبرنى كيف أصنع وكيف أنفق؟ فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم: تخرج الزكاة من مالك فانها طهرة تطهرك وتصل أقرباءك وتعرف حق المسكين والجار والسائل»(٥).

● عن جابر رضي الله عنه قال: «قال رجل: يا رسول الله أرأيت إن أدى الرجل زكاة ماله؟ فقال رسول الله ﷺ: من أدى زكاة ماله ذهب عنه شره»(٦).

أن فى القرآن آية لو أخذ الناس بها لكفتهم قوله عز وجل: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾(٧).

(١) رواه الترمذى.
(٢) رواه أحمد والترمذى وصححه.
(٣) سورة التوبة آية (١٠٤).
(٤) سورة البقرة آية (٢٧٦).
(٥) رواه أحمد بسنده الصحيح.
(٦) رواه الطبرانى فى الأوسط.
(٧) سورة الطلاق آية (٢، ٣).

الوصية الرابعة

النهى عن قرب الفواحش

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾.

الفواحش: جمع فاحشة وهى كما قال الراغب فى مفرادته ما عظم قبحه من الأقوال والأفعال.

والمتفحش هو الذى يأتى بالفحش من القول أو الفعل كالسرقة والزنا والنميمة وشهادة الزور.

أى: وأنهاكم عن أن تقربوا من الأقوال والأفعال القبيحة ما كان منها ظاهرًا وما كان منها خافيا.

ما ظهر منها: أى ما يفعل منها علانية.

ومابطن منها: أى ما يفعل سرًا باتخاذ الأخدان.

وتعليق النهى بقربانها إما للمبالغة فى الزجر عنها لقوة الدواعى إليها، وإما لأن قربانها داع إلى مباشرتها.

وجملة «ما ظهر وما بطن» بدل اشتمال من الفواحش.

وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾ إلا أنه جىء هنا بصيغة الجمع قصد إلى النهى عن أنواعها.

الزنا وأضراره:

الزنا: اتصال جنسى قائم على أساس غير شرعى يعتبر زنا تترتب عليه العقوبة المقررة من حيث إنه جريمة من الجرائم التى حددت عقوباتها.

ويتحقق الزنا الموجب للحد بتغييب الحشفة أو قدرها من مقطوعها - فى فرج محرم مشتهى بالطبع من غير شبهة نكاح، ولو لم يكن معه إنزال.

والزنا من الرجل معناه: وطء المرأة من غير ملك ولا شبهه ملك. ومعناه من المرأة: أن تمكن الرجل من أن يزنى بها.

حكمه: جريمة حرمتها الأديان السماوية التى أنزلها الله تعالى - على انبيائه ورسله، وحاربتها البشرية لأنها تؤدى إلى اختلاط الأنساب، وإلى انتشار الأمراض وإلى فقدان الحياء والغيرة.

الدليل على أن جريمة الزنا من أقبح الجرائم:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾(١).

الدليل على عقوبة الزنا:

قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٢).

أضرار الزنا:

قيل لأعرابى: لم أمنت بمحمد؟ فقال بلسان اليقين ومنطق الحق المبين: لأنه ما أمر بشىء وقال العقل: ليته ما أمر، وما نهى عن شىء وقال العقل: ليته ما نهى، ومن ثم فإن الإسلام لما نهى عن هذا المرض الخطير وهو الزنى عقب على ذلك بقوله - تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾.

وسائل الوقاية من الزنا:

- **غض النظر عن المحرمات:**

وذلك الأمر يستوى فيه الرجال والنساء على حد سواء قال تعالى: ﴿قُل

(١) سورة الإسراء آية (٣٢).
(٢) سورة النور آية (٢).

لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾(١).

وهذه الآية خطاب لرسول الله ﷺ: قل أيها الرسول الكريم - للمؤمنين بأن يغضوا من أبصارهم عما يحرم أو يكره النظر إليه وبأن يحفظوا فروجهم عما لا يحل لهم، فإن ذلك دليل على كمال الإيمان، وعلى حسن المراقبة وشدة الخوف من الله -تعالى-.

وجمع المولى عز وجل بين غض البصر وحفظ الفرج، باعتبارهما كالسبب والنتيجة إذ أن عدم غض البصر كثيرًا ما يؤدى إلى الوقوع فى الفواحش ولذا قدم - سبحانه - الأمر بغض البصر على الأمر بحفظ الفرج.

وعن على بن أبى طالب رضي الله عنه قال: قال لى رسول الله ﷺ: «لا تتبع النظرة فإن الأولى لك وليست الأخيرة»(٢).

◻النهى عن الخلوة بالمرأة الأجنبية والأختلاط لغير ضرورة:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بإمرأة ليس معها ذو محرم فإن ثالثهما الشيطان(٣).

◻النهى عن التبرج:

قال تعالى ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ

---

(١) سورة النور آية (٣٠، ٣١).

(٢) الفتح الربانى جـ١٢ ص ٧٣.

(٣) الفتح الربانى جـ١٦ ص ٧٦.

بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(١).

هذه الآية الكريمة تقرر مبادىء تحفظ المرأة وتحفظ الرجل من الأستثارة الجنسية:

١- عدم كشف المرأة لأى شىء من أجزاء جسدها إلا الوجه واليدين.

٢- وضع المرأة الخمار على الرأس والنحر والصدر لتدارى بذلك مفاتنها فلا تعرضها للعيون الجائعة.

٣- إخفاء الزينة حتى لا تتسب فى إثارة الرجال.

النهى عن دخول أقارب الزوج على الزوجة فى غياب الزوج:

عن عقبة بن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إياكم والدخول على النساء فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أفرأيت الحمو قال الحمو: الموت(٢).

والحمو: أقارب الزوج.

وقد يتساهل الزوج فيدخل ابن عمه أو أخوه مثلا على زوجته فى غيابه وذلك هو الخطر العظيم.

والإسلام يؤمن بأن الوقاية خير من العلاج لذلك منع دخول المخنث على النساء.

فعن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رجل يدخل على أزواج النبى صلى الله عليه وسلم مخنث وكانوا يعدونه من غير أولى الإربه فدخل النبى صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة فقال: إنها إذا أقبلت

---

(١) سورة النور آية (٣١).

(٢) الفتح الربانى جـ ١٦ ص ٧٧.

فبلت بأربع وإذا أدبرت أدبرت بثمان فقال النبى صلى الله عليه وسلم: ألا أرى هذا يعلم ما ها هنا لا يدخل عليكن هذا فحجبوه.

الحث على الزواج لمن استطاع:

قال تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾(١).

عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج»(٢).

الأمر بالاستعفاف لمن لم يستطع الزواج:

قال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾(٣).

وقد حث رسول الله ﷺ الشباب الذى لا يستطيع الزواج على الصوم لأن الصوم وقاية له من الوقوع فى الزنا حيث يعوده على سلوك معين من غض البصر فيتعود على ذلك السلوك العفيف فلا يقع فى الزنا.

قال رسول الله ﷺ عن علقمة: كنت مع ابن مسعود وهو عند عثمان ﷺ فقال له عثمان ﷺ عند باقى النساء منك قال: فلما ذكرت النساء قال ابن مسعود: أدن يا علقمة قال وأنا رجل شاب فقال عثمان ﷺ خرج رسول الله ﷺ على فتية من المهاجرين فقال: من كان منكم ذا طول فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لا فإن الصوم له وجاء(٤).

تيسير الزواج:

ويكون ذلك بأحد أمرين: أن تعين الجماعة المسلمة من يريد النكاح ويقف المال فى طريقهم.

---

(١) سورة النساء آية (٣).

(٢) متفق عليه.

(٣) سورة النور آية (٣٣).

(٤) [illegible] ٥٠٤.

قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(١).

◻ عدم المغلاة فى المهور:

فالغلو فى المهور ليس من الإسلام فى شىء ويتعارض مع هدى النبى ﷺ.

عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: إن من يمن المرأة تيسير خطبتها وتيسير صداقها(٢).

◻ توقيع العقوبة الشديدة على مرتكبى الزنا:

قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٣).

ولما كان النص القرآنى مجملا وعاما، وكان رسول الله ﷺ قد رجم الزانيين المحصنين فقد تبين من هذا أن الجلد خاص بغير المحصن.

عن جابر رضي الله عنه أن رجلا من أسلم أتى النبى ﷺ وهو فى المسجد فقال: إنه قد زنى فأعرض عنه فتنحى لشقه الذى أعرض. فشهد على نفسه أربع شهادات فدعاه فقال: هل بك جنون؟ هل أحضت؟ قال نعم. فأمر به أن يرجم بالمصلى فلما أذلقته الحجارة حجز حتى أدركته بالحرة فقتل(٤).

◻ تشديد العقوبة على رمى المحصنات الغافلات دون برهان:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ

(١) سورة النور آية (٣٢).
(٢) أخرجه أحمد جـ٦ ص ٧٧.
(٣) سورة النور آية (٢).
(٤) فتح البارى جـ٩ ص ٣٨٨ كتاب ٦٨ باب رقم الحديث ٢٥٧٠.

ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

المعنى:

أن الذين يرمون النساء العفيفات بالفاحشة، ثم لم يأتوا بأربعة شهداء لهم علي صحة ما قذفوهن به فاجلدوا - أيها الحكام - هؤلاء القاذفين ثمانين جلدة عقابًا على ما تفوهوا به من سوء فى حق هؤلاء المحصنات، ولا تقبلوا لهؤلاء القاذفين شهادة أبداً بسبب إلصاقهم التهم الكاذبة بمن هو بريد منها، وأولئك هم الفاسقون.

أى الخارجون على أحكام شريعة الله - تعالى - وعلى آدابها السامية.

والله سبحانه وتعالى - قد عاقب هؤلاء القاذفين المحصنات بثلاث عقوبات:

١- حسية وتتمثل فى جلدهم ثمانين جلدة وهى عقوبة قريبة من عقوبة الزنا.

٢- معنوية وتتمثل فى عدم قبول شهادتهم بزن تهدر أقوالهم ويصيرون فى المجتمع أشبه ما يكونون بالمنبوذين الذين إن قالوا لا يصدق الناس أقوالهم، وإن شهدوا لا تقبل شهادتهم لأنهم انسلخت عنهم صفة التقة من الناس فيهم.

٣- دينية، وتتمثل فى وصف الله تعالى - لهم بالفسق أى بالخروج عن طاعته - سبحانه - وعن آداب دينه وشريعته.

▫نفى الخوف من الفقر بسبب الأولاد:

ان المجتمع الذى يبيح قتل الأولاد خوفًا من الفقر أو خوفا من العار، لا يمكن أن يصلح شأنه لأنه مجتمع نفعى تسوده الأثرة والأنانية. ويكون فى الوقت نفسه مجتمعا افراده يسودهم التشاؤم، وتتفشاهم الأوهام لأنهم يظنون أن الله يخلق خلقا لا يدبر لهم حقهم من الرزق.

(١) سورة النور آية (٥).

وورد فى سورة الأنعام بصيغة أخرى هى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ وليس إحداهما تكررًا للأخرى. وإنما كل واحدة منهما تعالج حالة معنية.

فهنا يقول سبحانه: ﴿مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾ أى: لا تقتلوهم بسبب الفقر الموجود فيكم أيها الآباء لذا قال ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ فجعل الرزق للآباء ابتداء لأن الفقر الذى يقتلون من أجله أولادهم حاصل لهم فعلا.

وفى سورة الإسراء يقول: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ أى: خوفا من فقر ليس حاصلا ولكنه متوقع بسبب الأولاد ولذا قال: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ فقدم رزق الأولاد لأنهم سبب توقع الفقر ليكف الآباء عن هذا المتوقع وليضمن للأولاد رزقهم ابتداء مستقلا عن رزق الآباء.

ففى كلتا الحالتين القرآن ينهى عن قتل الأولاد ويغرس فى نفوس الاباء الثقة بالله والاعتماد عليه.

وجملة: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ تعليلية لإبطال ما اتخذه سببا لمباشرة جريمتهم وضمان منه سبحانه - لأرزاقهم أى نحن نرزق الفريقين لا أنتم وحدكم فلا تقدموا على تلك الجريمة النكراء وهى قتل الأولاد لأن الأولاد قطعة من أبيهم، والشأن حتى فى الحيوان الأعجم أنه يضحى من أجل الأولاد ويحميهم ويتحمل الصعاب فى سبيلهم.



الوصية الخامسة

النهى عن قتل النفس

قال تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

أى: لا تقتلوا النفس التى حرم الله قتلها بأن عصمها بالإسلام إلا بالحق الذى يبيح قتلها شرعا كردة أو قصاص أو زنا يوجب الرجم.

قال ابن كثير: وهذا مما نص - تبارك وتعالى - على النهى عنه تاكيداً وإلا فهو داخل فى النهى عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن فقد جاء فى الصحيحين عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزانى، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة[1].

قوله إلا بالحق: أى لا تقتلوها إلا ملتبسين بالحق.

﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أى ذلكم الذى ذكرناه لكم من وصايا جليلة، وتكاليف حكمه وصاكم الله به وطلبه منكم. لعلكم تستعملون عقولكم التى تعقل نفوسكم وتحبسها عن مباشرة القبائح.

فاسم الإشارة «ذلكم» مشار به إلى الوصايا الخمس السابقة ولفظ وصاكم من اللطف والرأفة وجعلهم أوصياء له - تعالى - ما يحمل النفوس على الطاعة والاستجابة.

لعلكم تعقلون: أى تستعملون عقولكم التى تعقل نفوسكم وتحبسها عن مباشرة القبائح المذكورة. ولعل تفسير تحقيق الوقوع.

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٢ ص ١٩٠.

وهذه الآية تبين بوضوح موقف الإسلام من قتل النفس فقتل النفس عنده كبيرة.

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: اجتبنوا السبع الموبقات: قيل يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات(١).

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾(٢).

ومن وفاء الإسلام أنه حفظ للمعاهد حياته بين المسلمين.

عن عبدالله بن عمرو بن العاصى رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن يحسها من سيرة أربعين عاما»(٣).

وأجار الإسلام المشرك وأبلغه مأمنه حتى يسمع كلام الله قال تعالى ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾(٤).

كل هذه النصوص تؤكد أن الإسلام حرم قتل النفس فالله واهب الحياة وليس لأحد غير الله أن يسلبها إلا بإذنه وفى الحدود التى يرسمها وكل نفس هى حرام لا يمس وحرام إلا بالحق. وهذا الحق الذى يبيح قتل النفس محدد لا غموض فيه. وليس متروكا للرأى ولا متأثرا بالهوى وقد جاء فى الصحيحين أن

(١) فتح البارى جـ١٢ باب ٣٢ ط السلفية.
(٢) سورة النساء آية (٩٣).
(٣) أخرجه أحمد جـ٥ ص ٥٢، والنسائى بلفظ لم يحد جـ٨ ص ٢٣.
(٤) سورة التوبة آية (٦).

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث إلخ: النفس بالنفس والزانى المحصن والتارك لدينه المفارق للجماعه»(١).

● عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث خصال: زان محصن يرجم، ورجل قتل متعمدا فيقتل، ورجل خرج من الإسلام وحارب الله ورسوله فيقتل أو يصلب أو ينفى من الأرض»(٢).

● وعن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال وهو محصور: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث: رجل كفر بعد إسلامه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفسا بغير نفس» فوالله ما زنيت فى جاهلية ولا إسلام ولا تمنيت ان لى بدينى بدلا منه إذ هدانى الله، ولا قتلت نفسا، فبم تقتلوننى؟

● عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «من قتل معاهدا له ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر بذمة الله، فلا يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفا».

ولما قتل قابيل أخاه هابيل، وكان هذا الإثم أول حادث وقع على الأرض فى أبناء آدم، فإن النبى صلى الله عليه وسلم يبين لنا جزاء قابيل ونصيبه من هذه الجناية فيقول: «لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه كان أول من سن القتل».

ولشناعة هذا الجرم فإن الرسول ﷺ يخبر فيقول: «أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء، وفى رواية «أول ما يحاسب به العبد الصلاة، وأول ما يقضى بين الناس فى الدماء»(٣).

(١) متفق عليه - فتح البارى جـ١٢ كتاب ٨٧ باب ٦ ص ٢٠١ وصحيح مسلم - جـ٣ كتاب ٢٨باب٦ ص١٣٠٢.
(٢) رواه أبو داود والنسائى.
(٣) رواه الخمسة إلا أبا داود.

● وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «لا يزال المؤمن فى فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما»(١).

● قال ﷺ: «كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركا أو مؤمن قتل مؤمنا متعمدا»(٢).

● وقال ﷺ: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم»(٣).

● عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا فى دم مؤمن لأكبهم الله فى النار»(٤).

● وكما أن الله تعالى نهى عن قتل الإنسان غيره فقد نهاه أيضا عن قتله نفسه إذ أن هذه النفس هى الجوهرة الربانية فإذا ما اعتدى عليها، فقد خان العهد ولم يصن الأمانة.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾(٥).

● عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتروى فيها خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن تحسى شىء فقتل نفسه فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا»(٦).

الأسباب المبيحة للقتل:

١- القصاص العادل الذى إن قتل نفسًا فقد ضمن الحياة لنفوس.

(١) رواه البخارى وأبو داود.
(٢) رواه أبو داود والنسائى.
(٣) رواه الترمذى والنسائى.
(٤) رواه الترمذى.
(٥) سورة النساء آية (٢٩).
(٦) رواه الأربعة.

قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى﴾[2].

● عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال أن يهوديا رض رأس جارية بين حجرين، فقيل لها: من فعل هذا بك؟ أفلان؟ حتى سمى اليهودى، فأومات برأسها فجىء باليهودى فاعترف، فأمر به النبى ﷺ فرض رأسه بحجرين»[3].

وعنه أن ابنه النضر لطمت جارية فكسرت ثنيتها فأتوا النبى ﷺ فأمر بالقصاص»[4].

فقالت أم الربيع: يا رسول الله أيقتص من فلانه؟ والله لا يُقتص منها، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: سبحان الله يا أم الربيع القاص كتاب الله، قالت: والله لا يقتص منها أبدا. قال. فما زالت حتى قبلوا الدية: فقال النبى ﷺ: «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره»[5].

٢- دفع الفساد القاتل فى انتشار الزنا.

٣- دفع الفساد الروحى الذى يشيع الفوضى فى الجماعة ويهدد أمنها ونظامها الذى أختاره الله لها وتسليمها إلى الفرقة القاتلة.

الديات فى الإسلام:

قال تعالى ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[6].

---

(١) سورة البقرة آية (١٧٩).
(٢) سورة البقرة آية (١٧٨).
(٣) رواه الخمسة.
(٤) رواه البخارى وأبو داود.
(٥) رواه الشيخان.
(٦) سورة البقرة آية (١٧٨).

وقال: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا﴾(١).

● عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنهم عن النبى ﷺ قال: من قتل مؤمنا متعمدا دفع إلى أولياء المقتول، فإن شاءوا قتلوا وأن شاءوا أخذوا الدية، وهى ثلاثون حقة وثلاثون جذعه، وأربعون خلفه، وما صالحوا عليه فهو لهم وذلك لتشديد العقل»(٢).

● عن عبدالله رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «فى دية الخطأ عشرون حقه، وعشرون جذعه، وعشرون بنت مخاض، وعشرون بنت لبون، وعشرون بنى مخاض ذكورًا»(٣).

● عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلاً من بنى عدى قتل، فجعل النبى ﷺ ديته اثنى عشر ألفا أى من الدراهم»(٤).

هذه هى الوصايا الخمس التى تضمنتها الآية الأولى من هذه الآيات الثلاث وكلها تشترك فى معنى واحد وهو أنها حقائق أو حقوق ثابتة فى نفسها ولم يكن ثبوتها إلا تجاريا مع الفطرة، فالله واحد سواء آمن الناس بهذه الحقيقة عقيديا وعمليا أم لم يؤمنوا، وشكر النعمة يقتضى الإحسان إلى الوالدين طبعا ووضعا وللنسل حق الحياة والحفظ، والفواحش فحش ونكر فى ذاتها فيجب أن تجتنب، والنفوس معصومة فليس لأحد أن يهدمها إلا بحق. ولاتفاقها كلها فى هذا المعنى جاءت فى آية واحدة، وختمت بعبارة تفيد أن هذا مرجعه إلى حكم العقول ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

وقد صدق أعرابى عندما سُئل: لم آمنت بمحمد؟ فقال: لأنه لم يأمر بشىء وقال العقل ليته ما أمر، ولم ينه عن شىء وقال العقل ليته ما نهى.

---

(١) سورة النساء (٩٢).
(٢) رواه الترمذى وأبو داود.
(٣) رواه أصحاب السنن.
(٤) رواه أصحاب السنن.

الوصية السادسة

النهى عن أكل مال اليتيم

قال تعالى ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾(١).

● قال عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما أنزل الله ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ و ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ الآية.

فانطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه، وشرابه من شرابه، فجعل يفصل الشىء فيحبس له حتى يأكله أو يفسد، فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾(٢).

قال: «فخلطوا طعامهم بطعامهم، وشرابهم بشرابهم»(٣).

شرح الآيات:

أى لا تقربوا مال اليتيم الذى فقد الأب الحائي، ولا تتعرضوا لما هو من حقه بوجه من الوجوه إلا بالوجه الذى ينفعه فى الحال أو المآل، كتربيته وتعليمه، وحفظ ماله واستثماره.

وإذن، فكل تصرف مع اليتيم أو فى ماله لا يقع فى تلك الدائرة. دائرة الأنفع والأحسن - محظور، ومنهى عنه.

قوله: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ ليس غاية للنهى. إذ ليس المعنى فإذا بلغ أشده فاقربوه لأن هذا يقتضى إباحة أكل الولى له بعد بلوغ الصبى، بل هو غاية لما يفهم من النهى، كأنه قيل: احفظوا حتى يصير بالغا رشيداً فحينئذ سلموا إليه ماله.

---

(١) سورة الأنعام آية (١٥٢).

(٢) سورة البقرة آية (٢٢٠).

(٣) رواه أبو داود.

والخطاب للأولياء والأوصياء. أى: احفظوا ماله حتى يبلغ الحلم فإذا بلغه فادفعوه إليه.

والأشد: قوة الإنسان واشتغال حرارته من الشدة بمعنى القوة والأرتفاع.

واختلف أهل العلم فى الأشد:

فقال أهل المدينة: بلوغه وإيناس رشده.

أبو حنيفة: خمس وعشرون سنة.

عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هو البلوغ، وقيل إنه انتهاء الكمولة.

ومنه قوله سميح البراحى:

اخو الخمسين مجتمع أشدى

ويحديثى مداورة الشئون

والراجح فى ذلك:

بلوغ الأشد أنه بلوغ إلى سن التكليف مع إيناس الرشد وهو أن يكون فى تصرفاته بماله سالكا مسلك العقلاء لا مسلك أهل السفه والتبذير.

ويدل على هذا قوله تعالى فى سورة النساء: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾(١).

يقول المولى عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا * وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا * وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ

---

(١) سورة النساء آية (٦).

مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا * وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾(١).

يقول ابن كثير فى تفسيره لهذه الآيات:

يأمر الله تعالى بدفع أموال اليتامى إليهم إذا بلغوا الحلم كاملة موفرة وينهى عن أكلها وضمها إلي أموالهم ولهذا قال: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾.

والأمر هنا: يتناول كل من له ولاية أو وصاية أو صلة باليتيم كما يتناول الجماعة الإسلامية بصفة عامة لكى تتكاتف وتتعاون على تمكين اليتيم من وصول حقه إليه بدون بخس أو مماطله.

و «اليتامى» جمع يتيم وهو الصغير الذى مات أبوه مأخوذ من اليتم بمعنى الأنفراد ومنه الدرة اليتيمة.

قوله ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ أى لا تجعلوا ردىء المال لهم بدل الجيد بأن تأخذوا لأنفسكم كرائم الأموال ونفائسها، وتتركوا لهم الخسيس منها.

قال القرطبى: وكانوا فى الجاهلية لعدم الدين لا يتحرجون عن أموال اليتامى فكانوا يأخذون الطيب من أموال اليتامى ويبدلونه بالردىء من أموالهم ويقولون اسم باسم، ورأس برأس فنهاهم الله عن ذلك(٢).

ويرى صاحب الكشاف أن المراد بالخبيث: الحرام، وبالطيب: الحلال فقد قال: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ أي: ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو ما لكم وما أبيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث فى الأرض فتأكلوه مكانه أو لا تستبدلوا الأمر الخبيث وهو اختزال أموال اليتامى بالأمر الطيب وهو حفظها والتورع عنها(٣).

---

(١) سورة النساء آية (١-٤).

(٢) تفسير القرطبى جـ٥ ص ٨.

(٣) تفسير الكشاف جـ١ ص ١٦٥.

قال سفيان الثورى عن أبى صالح: لا تعجل بالرزق الحرام قبل أن يأتيك الرزق الحلال الذى قدر لك.

وقال سعيد بن جبير: لا تتبدلوا الحرام من أموال الناس بالحلال من أموالكم. يقول: لا تبدلوا أموالكم الحلال وتأكلوا أموالهم الحرام.

وقال سعيد بن المسيب والزهرى: لا تعط مهزولاً وتأخذ سمينا.

وقال إبراهيم النخعى والضحاك: لا تعط زيفا وتأخذه جيدا.

وقال السدى: كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة من غنم اليتيم، ويجعل مكانها الشاة المهزولة ويقول: شاة بشاة، ويأخذ الدرهم الجيد، ويطرح مكانه الزيف ويقول: درهم بدرهم.

قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾.

قال مجاهد وسعيد بن جبير وابن سيرين ومقاتل بن حيان والسدى وسفيان ابن حسين: أي لا تخلطوها فتأكلوها جميعا.

● قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾.

قال ابن عباس: أى إثما عظيما.

والمعنى: إن أكلكم أموالهم مع أموالكم إثم عظيم، وخطأ كبير، فاجتنبوه.

قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾.

تقسطوا: من الإقساط وهو العدل.

اليتامى: يتامى النساء قال الزمخشرى. ويقال للاناث اليتامى كما يقال للذكور وهو جمع يتيمه.

ما طاب لكم: ما مالت إليه نفوسكم واستطابته من السناء اللائى احل الله لكم نكاحهن.

آراء العلماء فى تفسير هذا الآية الكريمة:

١- عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة - رضى الله عنها - عن هذه الآية

فقالت: يا ابن أختى هى اليتيمة تكون فى حجر وليها تشركة فى ماله ويعجبه مالها وجمالها. فيريد وليها أن يتزوجها من غير أن يقسط فى صداقها، فيعطيها مثل ما يعطيها غيره[1].

قال عروة: قالت عائشة: وإن الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم - بعد هذه الآية، فأنزل الله - تعالى-: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ...﴾

قالت عائشة: وقول الله تعالى ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ رغبة أحدكم عن يتيمته حين تكون قليلة المال والجمال.

قالت: فنهوا عن أن ينكحوا من رغبوا فى مالها وجمالها من يتامى النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهم عنهن إذا كن قليلات المال والجمال[2].

وعلى هذه الرواية التى ساقها أئمة المحدثين عن عائشة فى المراد من الآية الكريمة يكون المعنى: وإن علمتم أيها الأولياء على النساء اليتامى أنكم لن تعدلوا فيهن إذا تزوجتم بهن - بأن تسيئوا إليهن فى العشرة أو بأن تمتنعوا عن إعطائهن الصداق المناسب لهن - إذا علمتم ذلك فانكحوا غيرهن من النساء الحلائل اللائى تميل إليهن نفوسكم ولا تظلموا هؤلاء اليتامى بنكاحهن دون أن تعطوهن حقوقهن، فإن الله تعالى - قد وسع عليكم فى نكاح غيرهن.

فالمقصود من الآية الكريمة على هذا المعنى: نهى الأولياء عند نكاح النساء اليتامى اللائى يلونهن عند خوف عدم العدل فيهن، إلا أنه أوثر التعبير عن ذلك بالأمر بنكاح النساء الأجنبيات كراهة للنهى الصريح عن نكاح اليتيمات وتلطفا فى صرف المخاطبين عند نكاح اليتامى حال العلم بعدم العدل فيهن.

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى.

(٢) تفسير ابن كثير جـ١ ص ٤٥٠.

فكأنه سبحانه يقول: إن علمتم أيها الأولياء الجور والظلم فى نكاح اليتامى اللائى فى ولايتكم فلا تنكحوهن، وانكحوا غيرهن مما طاب لكم من النساء.

٢- الإمام ابن جرير: أن الآية مسوقة للنهى عن نكاح ما فوق الأربع خوفا على أموال اليتامى أن يتلفها أولياؤهم.

معنى ذلك:

النهى عن نكاح ما فوق الأربع حذرًا على أموال اليتامى أن يتلفها أولياؤهم وذلك أن قريشا كان الرجل منهم يتزوج العشر من النساء والأكثر والأقل فإذا صار معدمًا مال على مال اليتيمة التى فى حجرة فأنفقه أو تزوج به فنهوا عن ذلك.

وقيل لهم: إن أنتم خفتم على أموال أيتامكم أن تنفقوها فلا تعدلوا فيها من أجل حاجتكم إليها لما يلزمكم من مؤن نسائكم - إن خفتم ذلك فلا تجاوزوا فيما تنكحون من عدد النساء على أربع.

وإن خفتم أيضا من الأربع ألا تعدلوا فى أموالهم أى أموال اليتامى، فاقتصروا على الواحدة أو على ما ملكت أيمانكم(١) - أى إن كان زواجكم بالأربع يؤدى إلى الجور فى أموال اليتامى فاقتصروا على الزواج بامرأة واحدة.

٣- يقول صاحب الكشاف: عن مجاهد إن الآية الكريمة مسوقة للنهى عن الزنا. حيث أنهم كانوا لا يتحرجون من الزنا. ويتحرجون من ولاية اليتامى. فقيل لهم: إن خفتم الجور فى حق اليتامى، فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء، ولا تحوموا حول المحرمات(٢).

الرأى الراجح فى ذلك: الرأى الأول لأن الغالب أن السيدة عائشة رضى الله عنها ما فسرت الآية بهذا التفسير الذى قالته لابن أختها عروة إلا عن توقيف ومعانيه لحال النزول.

---

(١) تفسير ابن جرير جـ٤ ص ٢٢٣ طبعة الحلبى.

(٢) تفسير ابن جرير جـ٤ ص ٢٣٥ بتصرف وتلخيص.

● قال تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾(١).

قالت عائشة: وقول الله فى الآية الأخرى: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ رغبة أحدهم عن يتيمته إذا كانت قليلة المال والجمال، فنهوا أن ينكحوا من رغبوا فى مالها وجمالها من النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهم عنهن إذا كن قليلات المال والجمال.

وقوله: ﴿وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ﴾ أي وما يتلى عليكم فى يتامى النساء وفى المستضعفين من الولدان وفى أن تقوموا لليتامى بالقسط فيه الكفاية لحملكم على سلوك الطريق القويم من هؤلاء الضعاف.

ومن الأحاديث التى تحث على رعاية اليتامى:

● عن سهل بن سعد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا، وقال بإصبعيه السبابه والوسطى»(٢).

ولمسلم «كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين فى الجنة وأشار بالسبابة والوسطى».

● عن عوف بن مالك الأشجعى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عيه وسلم قال: «أنا وامرأة شفعاء الخدين كهاتين يوم القيامة وأومأ بالوسطى والسبابة، امرأة آمتّ من زوجها ذات منصب وجمال حبست نفسها على يتاماها حتى بانوا أو ماتوا»(٣).

---

(١) سورة النساء آية (١٢٧).
(٢) رواه الأربعة.
(٣) رواه أبو داود.

● عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «من قبض يتيما من بين مسلمين إلى طعامه وشرابه أدخله الله الجنة البتة إلا أن يعمل ذنبا لا يغفر له»(١).

● عن صفوان بن سليم رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم: «الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله أو كالذى يصوم النهار ويقوم الليل»(٢).



(١) رواه الترمذى.
(٢) رواه الشيخان والترمذى.

الوصية السابعة

الأمر بإيفاء الكيل والميزان

قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾(١).

أى: أتموا الكيل إذا كلتم للناس أو اكتلتم عليهم لأنفسكم وأوفوا الميزان إذا وزنتم لأنفسكم فيما تبتاعون أو لغيركم فيما تبيعون.

فالآية أمر من الله - تعالى - لعباده بإقامة العدل فى التعامل بحيث يعطى صاحب الحق حقه من غير نقصان ولا بخس، ويأخذ صاحب الحق حقه من غير طلب الزيادة.

والكيل والوزن: مصدران أريد بهما ما يكال وما يوزن.

وهذه الوصية هى مبدأ العدل والتعادل، وكل مجتمع محتاج إليها، فالناس لا بد لهم من التعامل، ولا بد لهم من التبادل، والكيل والوزن هما وسيلة ذلك فلا بد من أن يكونا منضبطين بالقسط.

قوله تعالى: ﴿لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ أى لا نكلف نفسًا إلا ما يسعها ولا يعسر عليها.

والجملة مستأنفة جىء بها عقيب الأمر بإيفاء الكيل والميزان بالعدل للترخيص فيما خرج عن الطاعة.

ولبيان قاعدة من قواعد الإسلام الرافعة للحرج وذلك لأن التبادل التجارى لا يمكن أن يتحقق على وجه كامل من المساواة أو التعادل فلا بد من تقبل اليسير من الغبن فى هذا الجانب أو ذاك.

● ولقد نادى شعيب فى قومه بإيفاء الكيل والوزن بعد أن انتشر بينهم التطفيف فى الكيل والوزن.

---

(١) سورة الأنعام آية (١٥٢).

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ * وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[1].

قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ أى وأرسلنا إلى مدين أخاهم شعيبا مدين اسم للقبيلة التى تنسب إلى مدين بن إبراهيم عليه السلام وكانوا يسكنون فى المنطقة التى تسمى معان بين حدود الحجاز والشام، وهم أصحاب الأيكة والأيكة: منطقة مليئة بالشجر كانت مجاورة لقرية معان، وكان يسكنها بعض الناس فأرسل الله شعيبا إليهم جميعا.

وشعيب هو ابن ميكيل بن يشجر بن مدين بن إبراهيم فهو أخوهم فى النسب وكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا ذكر شعيب قال: «ذلك خطيب الأنبياء لحسن مراجعته لقومه، وقوة حجته. وكان النبى صلى الله عليه وسلم - إذا ذكر شعيب قال (ذلك خطيب الأنبياء) لحسن مراجعته لقومه، وقوة حجته. وكان قومه أهل كفر وبخس للمكيال والميزان فدعاهم إلى توحيد الله ونهاهم عن الخيانة وسوء الأخلاق.

● فأوفوا الكيل والميزان: الكيل والميزان مصدران أريد بهما ما يكال وما يوزن به.

ونقص الكيل والميزان يكون من وجهين:

أحدهما: أن يكون الاستنقاص من جهتهم إذا باعوا لغيرهم.

وثانيهما: أن يكون الاستنقاص من جهة غيرهم إذا اشتروا منه بأن يأخذوا منه أكثر من حقهم.

---

(١) سورة هود آية (٨٤، ٨٥).

أى: فأتموا الكيل والميزان للناس بحيث يعطى صاحب الحق حقه من غير نقصان، ويأخذ صاحب الحق حقه من غير طلب الزيادة.

ولا تبخسوا الناس أشياءهم: أى ولا تنقصوهم حقوقهم بتطفيف الكيل ونقص الوزن فيما يجرى بينكم وبينهم من معاملات.

فقد جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما أنهم كانوا قوما طغاة بغاة يجلسون على الطريق فيبخسون الناس أموالهم .. قيل ويدخل فى ذلك بخس الرجل حقه من حسن المعاملة والتوقير اللائق به وبيان فضله على ما هو عليه السائل عنه، وكثير ممن ينتسب إلى أهل العلم اليوم مبتلون بهذا البخس وليتهم قنعوا به بل جمعوا حشفاء وسوء كيله «فإنا لله وإنا إليه راجعون»(١).

قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾(٢).

الويل: لفظ دال على الهلاك أو الشر. وقيل: هو اسم واد فى جهنم.

و «المطففين» جمع مطفف، من الطفيف وهو الشىء التافه الحقير لأن ما يغتاله المطفف من غيره شىء قليل. والتطفيف: الإنقاص فى المكيال أو الميزان عن الحدود المطلوبة.

قال الأمام ابن جرير:

وأصل التطفيف من الشىء الطفيف، وهو القليل النذر والمطفف: المقلل صاحب الحق عماله من الوفاء والتمام فى كيل أو وزن. ومنه قيل للقوم الذين يكونون سواء فى حسبة أو عددهم سواد كطف الصاع.

يعنى بذلك كقرب الممتلئ منه ناقص عن الملء...(٣).

---

(١) تفسير الآلوسى جـ٨ ص ١٧٧.

(٢) سورة المطففين آية (١:٣).

(٣) تفسير ابن جرير جـ٣ ص ٥٧.

• قوله: اكتالوا من الاكتيال وهو افتعال من الكيل، والمراد به أخذ مالهم من كيل من غيرهم بحكم الشراء.

ومعنى: «كالوهم أو وزنوهم» كالوا لهم أو وزنوا لهم.

والضميران المنفصلان «هم» يعودان إلى الناس.

قال صاحب الكشاف: والضمير فى «كالوهم أو وزنوهم» ضمير منصوب راجع إلى الناس. وفيه وجهان: أن يراد: كالواهم، أو وزنوا لهم وحذف الجار وأوصل الفعل.

والمعنـــى:

هلاك شديد، وعذاب أليم، للمطففين وهم الذين يبخسون حقوق الناس في حالتى الكيل والوزن وما يشبههما، ومن مظاهر ذلك أنهم إذا اشتروا من الناس شيئا حرصوا على أن يأخذوا حقوقهم منهم كاملة غير منقوصة، وإذا باعوا لهم شيئا عن طريق الكيل أو الوزن أو ما يشبههما.

«يخسرون» أى: ينقصون فى الكيل أو الوزن.

وافتتحت السورة الكريمة بلفظ «الويل» للإشعار بالتهديد الشديد والوعيد الأليم لمن يفعل ذلك.

وقال سبحانه: ﴿إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ...﴾ ولم يقل من الناس. للإشارة إلى ما فى عملهم المنكر من الاستيلاء والقهر والظلم.

والتعبير بقوله: ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾ و ﴿يُخْسِرُونَ﴾ يدل على حرصهم الشديد فيما يتعلق بحقوقهم وإهمالهم الشنيع لحقوق غيرهم، إذ استيفاء الشىء أخذه وافيا تماما، فالسين والتاء فيه للمبالغة.

وأما «يخسرون»: فمعناه إيقاع الخسارة على الغير فى حالتى الكيل والوزن وما يشبههما.

قوله: ﴿أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

أى: أبلغت الجرأة بهؤلاء المطففين أنهم صاروا من بلادة الحس ومن فقدان الشعور، لا يخشون الحساب يوم القيامة، ولا يخافون العذاب الشديد الذى سينزل بهم يوم يقوم الناس من قبورهم استجابة لأمر رب العالمين، حيث يتلقون جزاءه العادل، وحكمه النافذ..

ووصف - سبحانه - اليوم بالعظم باعتبار عظم ما يقع فيه من أهوال.

هذا، وقد جاء الأمر بإيفاء الكيل والميزان، والنهي عن تطفيفهما فى آيات كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾(٢).

وقوله: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ * وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ * وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾(٤).

---

(١) سورة الأعراف آية (٨٥).
(٢) سورة الإسراء آية (٣٥).
(٣) سورة الشعراء آية (١٨١:١٨٣).
(٤) سورة الرحمن آية (٧:٩).

قال بعض العلماء ما ملخصه: والتصدى بشأن المطففين بهذا الأسلوب فى سورة مكية أمر يلتفت النظر فالسورة المكية عادة توجه اهتمامها إلى أصول العقائد.

أثرها على المجتمع:

تطفيف الكيل والوزن رذيلة تمس نظافة القلب واليد كما تمس المروءة والشرف وهى غش وخيانة فى التعامل تنزع بها الثقة ويتبعها الكساد، وتقل بها البركة فى محيط الجماعة فيرتد هذا على الأفراد.



الوصية الثامنة

الأمر بالعدل في القول

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾(١).

أي: وإذا قلتم قولا فاعدلوا فيه ولو كان المقول له أو عليه صاحب قرابة منكم.

إذ العدل هو أساس الحكم السليم: العدل فى القول، والعدل فى الحكم والعدل فى كل فعل.

قوله: «ولو كان ذا قربى» فهو أخذ بالإنسان عما جرت به عادته من التأثر بصلات القربى فى المحاباة للاقرباء والظلم لغيرهم.

العدل: الإنصاف، وهو إعطاء المرء ماله، وأخذ ما عليه وجاء فى الأثر: بالعدل قامت السموات والأرض. العدل من صفات الله تعالى.

وفضيلة العدل من صفات الله - تعالى - لأنه منزه عن الظلم قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(٢).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾(٣).

وقال عز وجل: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾(٤).

---

(١) سورة الأنعام آية (١٥٢).
(٢) سورة النساء آية (٤٠).
(٣) سورة يونس آية (٤٤).
(٤) سورة الكهف آية (٤٩).

● وقد أمر الله - تعالى - رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يلتزم العدل فى كل أقواله وأعماله:

فقال تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾(١).

بل أن الله - تعالى - قد أمر رسول بالتزام العدل فى الأحكام حتى مع غير المسلمين فقد قال تعالى: ﴿فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(٢).

وكما أمر الله - تعالى - رسوله ﷺ بالعدل أمر الناس جميعًا.

أمرنا الله - تعالى - بالعدل فى القول فقال: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾(٣).

وأمرنا سبحانه بالعدل فى الأحكام فقال: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾(٤).

وأمرنا -عز وجل- بالعدل فى الشهادة فقال: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾(٥).

وأمرنا -سبحانه- بالعدل فى كتابه الديون فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾(٦).

---

(١) سورة الشورى آية (١٥).
(٢) سورة المائدة آية (٤٢).
(٣) سورة الأنعام آية (١٥٢).
(٤) سورة النساء آية (٥٨).
(٥) سورة الطلاق آية (٢).
(٦) سورة البقرة آية (٢٨٢).

وأمرنا -سبحانه- بالتزام العدل عند الإصلاح بين الناس فقال: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(١).

● وأمرنا عز وجل - أن نكون عادلين حتى مع الأعداء فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا﴾ للتأكيد على وجوب اعتناقهم لفضيلة العدل ولبيان العلة فى تكليفهم بذلك.

أى: التزموا - العدل - أيها المؤمنون - في كل أحوالكم، فإن العدل، مع الأعداء ومع غيرهم أقرب إلى اتقاد المعاصى، وإلى صيانة النفس عن الوقوع فى المهالك.

وشبيهة بهذه الآية قوله - تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾(٢).

وهكذا نرى أن القرآن الكريم قد دعا إلى التزام فضيلة العدل فى شتى الأقوال، والأفعال، والسلوك، فأخبرنا بأن العدل من صفات الله - عز وجل - وهو وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام - ثم أمرنا بالعدل فى الحكم فى القول وفى الكتابة وفى الشهادة وفى الإصلاح بين الناس، ومع العدو ومع الصديق، ومع الغنى ومع الفقير، ومع القريب ومع البعيد.

أنواع العدل:

١- تحكم العقول السليمة وأنها بحسنه، وهو المتمثل فى الإحسان إلى كل من أحسن إليك، وفى كف الأذى عمن كف أذاه عنك.

---

(١) سورة الحجرات آية (٩).

(٢) سورة النساء آية (١٣٥).

قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾.

وقال -سبحانه-: ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾(١).

٢- رد العدوان وتأديب الظلم، واحتقار المغرور، ومقابلة المسيء بالعقوبة الرادعة التى تحمى أموال الناس، وأعراضهم من شروره.

قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾(٢).

وقال سبحانه: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٤).

الظلم رذيلة:

الظلم: وضع الشىء فى غير موضعه المختص به، إما بنقصان أو بزيادة وإما يعدول عن وقته أو مكانه ... والظلم يقال فى مجاوزة الحق.

ويقال فيما يكثر وفيما يقل من التجاوز ولهذا يستعمل فى الذنب الكبير وفى الذنب الصغير(٥).

ولقد ورد تحريم الظلم والعذاب الشديد عليه فى كثير من آيات القرآن الكريم:

◻ الظلم يؤدى إلى سوء المصير فى الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٦).

---

(١) سورة التوبة آية (٧).
(٢) سورة البقرة آية (١٩٠).
(٣) سورة البقرة آية (١٩٤).
(٤) سورة البقرة آية (١٧٩).
(٥) المفردات فى غريب القرآن ص ٣١٥ للراغب الأصفهانى.
(٦) سورة الأنعام آية (٤٥).

وقال: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾(١).

النهى عن الاقتراب منهم:

فقال تعالى: ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾(٢).

الأخبار بأن الظالمين لن يقبل عذرهم يوم الحساب:

فيقول: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾(٣).

الإرشاد إلى أن الظلم سيؤدى إلى الخسران:

فيقول: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا﴾(٤).

التصريح بأن الظلم عاقبته الخيبة:

فيقول: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾(٥).

لفت الأنظار إلى أن رحمة الله تعالى بالناس هى التى منعت نزول العذاب بهم مع ظلمهم:

فيقول: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾(٦).

بيان أن الظلم يؤدى إلى خراب الديار، وانهيار البنيان:

فيقول: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(٧).

---

(١) سورة الكهف آية (٥٩).
(٢) سورة هود آية (١١٣).
(٣) سورة الروم آية (٥٧).
(٤) سورة الأعراف آية (٨، ٩).
(٥) سورة طه آية (١١١).
(٦) سورة النحل آية (٦١).
(٧) سورة النمل آية (٥٢).

فهذه الايات الكريمة ألوانًا من التهديد والوعيد والتحذير ومن سوء المصير لأولئك الذين يعتدون ويظلمون ويفسدون فى الأرض ولا يصلحون.

أقسام الظلم:

أقسام الظلم ثلاث: كما يقول الراغب فى مفرداته:

١- ظلم بين الإنسان وخالقه وأعظمه الشرك والكفر والنفاق بين الإنسان وخالقه وأعظمه الشرك والكفر والنفاق.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(١).

٢- ظلم يقع بين الإنسان وغيره من الناس بأن يسىء إليهم أو يأخذ شيئًا من حقوقهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٢).

٣- ظلم يقع بين الإنسان ونفسه، بأن يتركها وهواها، بحيث تقع فى الفواحش والآثام دون أن يحاسبها أو يمنعها.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾(٣).

الترغيب فى العدل والترهيب فى الظلم:

لقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم أتباعه بتحرى العدل ونهاهم فى كثير من أحاديثه عن الظلم:

● عن جابر رضى الله - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم»(٤).

---

(١) سورة لقمان آية (١٣).
(٢) سورة الشورى آية (٤٢).
(٣) سورة فاطر آية (٣٢).
(٤) رواه مسلم.

● عن أبى موسى الأشعرى - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله ليملى للظالم: أى ليمهل الظالم - فإذا أخذه لم يفلته[١].

● عن أبى هريرة - رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال: أتدرون من المفلس؟ قالوا يا رسول الله: المفلس فينا من لا درهم له، ولا متاع فقال صلى الله عليه وسلم المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا، وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار»[٢].

وفى الحديث القدسى الذى رواه النبى صلى الله عليه وسلم عن ربه يقول الله - عز وجل: يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا.

● عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «من أخذ من الأرض شيئاً بغير حق خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين».

وفى رواية «من أخذ شبرا من الأرض ظلما فإنه يطوقه يوم القيامة م[illegible]سبع أرضين»[٣].

● عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم «من كانت له مظلمة لأحد من عرضه أو شىء فليتحله منه اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»[٤].

● عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «المسلم

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه الشيخان وأحمد.
(٤) رواه البخارى.

أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة[١].

● عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول اله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالى؟ قال: «فلا تعطه مالك، قال: أرأيت إن قاتلنى؟ قال: «قاتله، قال: أرأيت أن قتلنى؟ قال: فأنت شهيد، قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: هو فى النار» رواه مسلم فى كتاب الإيمان.

● عن أبى بكرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخر له فى الآخرة مثل البغى وقطيعة الرحم[٢].

● عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: لا يشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدرى أحدكم لعل الشيطان ينزع فى يده فيقع فى شفرة من النار».

● عن حذيفة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تكونوا إمعه تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أسادوا فلا تظلموا»[٣].

● عن أبى صرمة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من ضار ضار الله به ومن شاق شق الله عليه»[٤].

● عن أبى بكر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «ملعون من ضار مؤمنا أو مكر به»[٥].

---

(١) رواه الأربعة.

(٢) رواه أبو داود والترمذى.

(٣، ٤) رواه الترمذى هذه الثلاثة.

(٥) رواه الترمذى هذه الثلاثة.

● مر هشام بن حكيم رضى الله عنهما بالشام على أناس وقد أقيموا فى الشمس، وصب على رءوسهم الزيت، فقال: ما هذا؟ قيل: يعذبون فى الخراج، فقال هشام: أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله يعذب الذين يعذبون الناس فى الدنيا»[١].

● ودخل عبيد الله بن زياد على معقل بن يسار رضى الله عنهما فى مرضه الذى مات فيه، فسأله عبيد الله فقال: لو علمت أن لى حياة ما حدثتك، إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ما من عبد يسترعيه الله رعيه يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة».

وفى رواية «ما من أمير يلى أمر المسلمين ثم لا يجهر لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة. فقال عبيد الله: ألا كنت حدثتنى هذا قبل اليوم؟ قال ما حدثتك[٢].

● لقد حدث فى العهد النبوى أن رجلا اسمه طعمه بن أبيرق، سرق درعاً من جار له اسمه قتاده بن النعمان، ثم خبأها عند رجل من اليهود اسمه زيد بن السمين.

فسأل قتادة طعمه عنها فأنكرها، وزعم أنه لا علم له بها فأخذ قتاده يبحث عنها حتى وجدها عند اليهودى، وسأله فقال: دفعها إلى طعمه، ورفع الأمر إلى النبى صلى الله عليه وسلم فاحضر صلى الله عليه وسلم طعمه وسأله أأنت سرقت هذه الدرع ووضعتها عند زيد بن السمين أعندك شهود على أن طعمه قد وضعها عندك؟ فقال لا. وجاء أقارب طعمه يدافعون عنه.

● ولقد سار السلف الصالح على هذا الهدى الكريم الذى يحقق العدل ويزهق الظلم.

فهذا أمير المؤمنين على بن أبى طالب - رضى الله عنه - يوصى الأشتر

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه الشيخان.

النخعى الذى ولاه على مصر بقوله: أنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى على رعيتك فإنك إن تفعل تكن ظالماً ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه، ومن خاصمه الله أبطل حجته وليس شىء أدعى إلى تغيير النعمة وتعجيل النعمة من الظلم فإن الله - تعالى - يسمع دعوة المظلومين، وهو للظالمين بالمرصاد.

● ورحم الله القائل: إن الله - تعالى - يقيم الدولة الكافرة مع العدل، ولا يقيم الدولة المسلمة مع الظلم.

● ولقد قال بعض الحكماء: لا ملك إلا بالرجال، ولا رجال إلا بالمال، ولا مال إلا بالتعمير، ولا تعمير إلا بالعدل، فالعدل أساس الملك.

● ومن أظلم الظلم: من يظلم نفسه.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾(١).

عن الحسن رضى الله عنه حدثنا جندب بن عبدالله فى هذا المسجد وما نسينا منذ حدثنا وما نخشى أن يكون جندب كذب على النبى صلى الله عليه وسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«كان فيمن قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكيناً فحز بها يده، فما رفأ الدم حتى مات، قال الله تعالى: بادرنى عبدى بنفسه حرمت عليه الجنة»(٢).

أثر شهادة الزور على الفرد والمجتمع:

إن شهاد الزور كبيرة من الكبائر فهى عن الصفة الرذيلة صفة الكذب التى حذر الإسلام منها.

وبهذه الشهادة يعطى من لا يستحق ويحرم من يستحق، أما قول الحق

---

(١) سورة النساء اية (٢٩).
(٢) رواه البخارى.

وشهادة الحق تعطى الأمن والأمان وتنشر الثقة المتبادلة بين الأفراد ويظهر أثر ذلك جليا فى تماسك المجتمع يشد بعضه بعضًا.

ومن هنا كان تحذير الإسلام من شهادة الزور.

عن أبى بكرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أنبئكم باكبر الكبائر - ثلاثا؟ قلنا - بلى يا رسول الله. قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئًا فجلس فقال: الاوقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت»[1].

ومن عالمية الإسلام أنه لا يقتصر فى الوصية بقول الحق بين أتباعه بل تمتد التوصية لتشمل أعداءه وينهي أن يحملهم الكره لهم على ظلمهم.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[2].

بهذه التوصية يضع الإسلام جذورًا قوية للمجتمع بين أبنائه وأتباعه.



(١) فتح البارى جـ١١ كتاب الاستئذان ٧٩ باب ٣٥ رقم الحديث ٦٢٧٣ ص ٦٦ ط السلفية.
(٢) سورة النساء آية (١٣٥).

الوصية التاسعة

الأمر بالوفاء بالعهد

قال تعالى: ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾(١).

أى: كونوا أوفياء مع الله فى كل ما عهد إليكم به من العبادات والمعاملات وغيرها.

إذ الوفاء أصل من الأصول التى يتحقق بها الخير والصلاح، وتستقر عليها أمور الناس.

قوله ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ أى أوفوا بكل عهد عهده الله إليكم ومن جملة ما عهده إليكم ما تلاه عليكم رسوله يأمره فى هذا المقام ويجوز أن يراد به كل عهد ولو كان بين المخلوقين لأن الله سبحانه لما أمر بالوفاء به فى كثير من الآيات القرآنية كان ذلك مسوغا. لإضافته إليه(٢).

وتقديم الجار والمجرور على الفعل للاعتناء بشأن العهد «ذلكم» إشارة إلى ما فصل من التكاليف ومعنى البعد للإيذان بعلو طبقاتها بين التكاليف الشرعية(٣).

﴿وَصَّاكُم بِهِ﴾ أمركم به أمرًا مؤكدًا.

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فتتعظون بذلك.

فالآية تفيد أن الله سبحانه وتعالى يأمر الناس جميعًا بالوفاء بالعهد سواء كان العهد عهد الله أم عهد البشر.

العهد هو: العقد الموثق باليمين.

(١) سورة الأنعام آية (١٥٢).
(٢) فتح القدير جـ٣ ص ١٧٨.
(٣) تفسير أبو السعود جـ٢ ص ٣٠٣.

ولقد كان أول العهود التى أخذها الله على عباده ينص على الاعتراف والإقرار لله تعالى بالربوبية الخالصة والوحدانية الصادقة.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾(١).

ثم توالت العهود بعد ذلك:

فهذا عهد أخذه الله تعالى على الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، ويوصوا أتباعهم إن هم أدركوا زمانه أن يؤمنوا به وينصرونه.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾(٢).

وهذا عهد أخذه الله على العلماء أن يبينوا للناس العلم، وأن لا يكتموه.

قال عز من قائل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾(٣).

وتوالت العهود والمواثيق والوصايا، وتوالى الأمر بالوفاء بها قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾(٤).

وقال جل جلاله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾(٥).

---

(١) سورة الأعراف آية (١٧٢، ١٧٣).
(٢) سورة آل عمران آية (٨١).
(٣) سورة آل عمران آية (١٨٧).
(٤) سورة المائدة آية (١).
(٥) سورة النحل آية (٩١).

وكل ما أمر الله به ونهى عنه، فهو عهد وأمانه فى عنق المكلفين ولذا قال تعالى بعد تعداد الأوامر والنواهى فى سورة الإسراء من أول قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾(١).

إلى أن يقول سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾(٢).

يقول سبحانه قبل هذه الآية: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾(٣).

الثناء على الموفين بالعهد:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(٤).

كما أثنى ثناء عاطرًا على الموفين بعدهم، وجعلهم فى الفضل مع المقيمين الصلاة والمؤتين الزكاة والمجاهدين فى سبيل الله.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾(٥).

تزكية الموفين بالعهد:

ولقد زكى الله رجالاً عاهدوا الله فصدقوا فى عهدهم فقال تعالى ﴿مِنَ

(١) سورة الإسراء آية (٢٢).
(٢) سورة الإسراء آية (٣٥).
(٣) سورة الإسراء آية (٣٤).
(٤) سورة الفتح آية (١٠).
(٥) سورة البقرة آية (١٧٧).

الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾(١).

قال العلماء: نزلت في أنس بن النضر. روى البخارى بسنده عن أنس بن مالك قال: غاب أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله غبت من أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدنى قتال المشركين ليرين الله ما أصنع. فلما كان يوم أحد، وانكشف المسلمون، قال: اللهم إنى أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعنى أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعنى المشركين - ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ. قال: يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر، إنى أجد ريحها من أحد. قال سعد. فما استطعت يا رسول الله ما صنع. قال أنس: فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربة، ما بين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل، وقد مثل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته بنيانه(٢).

ذم مناقض العهد:

وإذا كان القرآن قد أثنى ثناء عاطرًا على خلق الوفاء بالعهد فقد ذم أبلغ الدم نقيض هذا الخلق، وهو خلف الوعد وجعل ذلك سببًا للنفاق:

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾(٣).

نقض العهد من سمات المنافقين:

هذا وإذا كان نقض العهد يثمر نفاقًا فهو كذلك من سمات المنافقين التى بها يعرفون. قال صلى الله عليه وسلم: أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا. ومن

(١) سورة الأحزاب آية (٢٣).
(٢) فتح البارى جـ٦ ص ٣٦١، ٣٦٢.
(٣) سورة التوبة آية (٧٥: ٧٧).

كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر(١)».

فجعل ﷺ نقض العهد سمة من سمات النفاق لا تليق بمؤمن أبدًا كما وأن الوفاء بالعهد سمه من سمات المؤمنين فلقد رجل القرآن ذلك مرارًا حيث ذكر سبحانه بين صفات المؤمنين المميزة لهم خلق الوفاء بالعهد مرارًا عديدة قال تعالى فى سورة المؤمنون: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾(٢).

وأثنى عليهم بذلك فى سورة المعارج فقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾(٣).

ومن عجب أن يقدم الثناء على خلق الوفاء بالعهد على المحافظة على الصلاة فى السورتين، والصلاة عماد الدين وركن الإسلام الركين.

الوفاء بالعهد لجميع الناس:

والوفاء بالعهد لا يعرف فرقًا بين مسلم وغيره فهو خلق إسلامى مكين يتعامل به المسلم مع الخلق أجمعين فهو يفى بعهده للمسلم والكافر على السواء لذا نادى الأمام على يوم الحج الأكبر نيابة عن رسول ﷺ.

قال محمد بن إسحاق: نزلت براءة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كان بعث أبا بكر ليقم الحج للناس، فقيل: يا رسول الله لو بعثت إلى أبى بكر بها. فقال صلى الله عليه وسلم: لا يؤدى عنى إلا رجل من أهل بيتى. ثم دعا عليًا فقال: اذهب بهذه القطعة من سورة براءة، وأذن فى الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى، أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عهد عند رسول الله ﷺ فهو له إلى مدته.

---

(١) رواه ابن جرير ص ١٥٧ جـ ٢ مختصر ابن كثير.

(٢) سورة المؤمنون آية (٨).

(٣) سورة المعارج آية (٣٢).

قال تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾(١).

قال ابن كثير فى تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ أى الموفين بعهدهم. الا ما أجمل هذا الدين، الذى يجعل الوفاء بالعهد - وإن كان لمشرك - من التقوى التى يحيها تعالى:

غير أن إسلامنا لا يحب للمسلم أن يكون ألعوبة فى يد المشرك، يفى له بعهده على كل حال، وإنما يفى له بعهده ما وفى المشرك لنا بعهدنا.

نجد ذلك فى قوله تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

فمن نقض عهدنا نبذنا إليه عهده، ومن استقام لنا استقمنا له قال تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾(٢).

قال ابن كثير:

«يعنى أهل الحديبية، وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك والمسلمون، فاستمر العقد والهدنة مع أهل مكة من ذى القعدة فى سنة ست إلى أن نقضت قريش العهد، ومالأوا حلفاءهم، وهم بنو بكر على خزاعة أحلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقتلوهم معهم فى الحرم. فعند ذلك غزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان سنة ثمان ففتح الله عليه البلد الحرام ومكنه من نواصيهم»(٣).

---

(١) سورة التوبة آية (٤).
(٢) سورة التوبة آية (٧).
(٣) ص ١٢٧ جـ ٢ مختصر ابن كثير. بتصرف.

الله لا يخلف عهده:

هذا وإذا كان المولى سبحانه وتعالى قد جعل الوفاء بالعهد للمسلمين خلقًا فإنه سبحانه لا يخلف عهده كذلك.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾(٢).

كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾(٣).

● وكعادة الإسلام فى معاملته مع الناس موفيًا بعهده مع الجميع حتى مع أعدائه - ولقد ترك القرآن وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم فى نفوس المسلمين أثرًا قويًا وطابعًا عامًا فى الوفاء بالعهد ظل هو طابع التعامل الإسلامى الفردى والدولى المتميز.

روى أنه كان بين معاوية بن أبى سفيان وملك الروم أمد فسار إليهم فى آخر الأجل. حتى إذا انقض وهو قريب من بلادهم أغار عليهم وهم غارون لا يشعرون فقال له عمرو بن عتبة: الله أكبر يا معاوية. وفاء لا غدر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من كان بينه وبين قوم أجل فلا يحلق عضده حتى ينقض أمدها» فرجع معاوية بالجيش.

ولقد ورد الوفاء بالعهد فى آيات كثيرة من القرآن الكريم منها:

قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ...﴾(٤).

العهد: ما من شأنه أن يراعى ويحفظ كاليمين والوصية وما يشبههما.

وعهد الله: أوامره ونواهيه وتكاليفه الشرعية التى كلف الله بها.

---

(١) سورة البقرة آية (٨٠).
(٢) سورة الروم آية (٦).
(٣) سورة التوبة آية (١١١).
(٤) سورة النحل آية (٩١).

والوفـاء بعهد الله - تعالى - يتأتى بتنفيذ أوامره وتكاليفه، وإجتناب ما نهى عنه.

قال القرطبى: قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ...﴾ لفظ عام لجميع ما يعقد باللسان، ويلتزمه الإنسان من بيع أو صله، أو مواثقه فى أمر موافق للديانه.

وخص - سبحانه - الأمر بالوفاء بالعهد بالذكر - مع أنه داخل فى المأمورات التى اشتملت عليها الآية السابقة كما أشار إلى ذلك القرطبى فى كلامه السابق - لأن الوفاء بالعهود من أكد الحقوق وأوجبها على الإنسان.

● قوله تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾(١).

أى: وأوفوا بالعهود التى بينكم وبين الله تعالى. والتى بينكم وبين الناس، بأن تؤدوها كاملة غير منقوصة، وأن تقوموا بما تقتضيه من حقوق شرعية.

وقوله: ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ تعليل لوجوب الوفاء بالعهد.

أى: كونوا أوفياء بعهودكم لأن صاحب العهد كان مسئولا عنه أمام - الله تعالى - وأمام الناس.

وقد مدح الله - تعالى- الذين يوفون بعهودهم فى آيات كثيرة منها قوله - تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾(٣).

قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾(٤).

---

(١) سورة الإسراء آية (٣٤).
(٢) سورة الرعد آية (١٩، ٢٠).
(٣) سورة البقرة آية (١٧٧).
(٤) سورة البقرة آية (٤٠).

عهد الله: أوامره ونواهيه، والوفاء به يتأتى باتباع ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه ويندرج فيه كل ما أخذ على بنى إسرائيل فى التوراة من اتباع محمد -صلى الله عليه وسلم- متى بعث، والإيمان بما جاء به من عند الله وتصديقه فيما يخبر به عن بره.

والمعنى: وأوفوا بما عاهدتمونى عليه من الإيمان بى والطاعة لى والتصديق برسلى، أوف بما عاهدتكم عليه من التمكين فى الأرض فى الدنيا والسعادة فى الآخرة.

● قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾(١).

يقول الأستاذ الدكتور/ محمود بن الشريف عند تفسير هذه الآية: (٢)

الأمانة أعم من العهد.

وكل عهد فهو أمانة يجب الوفاء به

وفى نقض العهود خيانة للأمانة.

وفى خيانة الأمانة نقض للعهد.

والعهد والميثاق بمعنى واحد.

● ولله سبحانه وتعالى مواثيق وعهود أخذها على الناس ويجب الوفاء بها، ليفى لهم فى نظير وفائهم. فهناك:

● عهد على الناس أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾(٣).

---

(١) سورة المؤمنون آية (٨).

(٢) كتابة القيم المؤمنون آيات وأحاديث طبعه دار المعارف المصرية الطبعة الأولى ١٩٨٥م.

(٣) سورة الأعراف آية (١٧٢).

عهد على الناس بالاعتراف بالربوبية:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾(١).

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾(٢).

عهد على الأنبياء:

قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾(٣).

ميثاق الله تعالى على نفسه:

لقد كتب على نفسه أن من آمن وعمل صالحًا ووفى بما التزم ليدخلنه جنات فى الآخرة وليحينه حياة طيبة فى الدنيا.

فإذا أوفى العبد بالعهد أوفى الله. ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾.

عهد الله للأولين هو عهده للآخرين:

يقول الإمام الراحل الشيخ محمود شلتوت فى تفسيره(٤) «وهكذا إذا قرأنا القرآن وتدبرنا الآيات التى تحدثت عن عهد الله وجدنا أن عهد الله للأولين من خلقه هو عهد للآخرين منهم، وأن ما أخذه على الأولين هو ما أخذه على الآخرين: إيمان بربوبيته وتنزيه لألوهيته وامتثال وطاعه لأحكامة وشرائعه.

(١) سورة آل عمران آية (٨١).
(٢) سورة الأحزاب آية (٧).
(٣) سورة آل عمران آية (١٨٧).
(٤) ص ٣٤٥ طبعة دار القلم ببيروت.

ومن هنا نرى فى القرآن الكريم تذكير الآخرين بنعمه على الأولين اذا أطاعوا، ونعمته عليهم إذا خالفوا، فالمصدر واحد والهداية واحدة. والخلق واحد».

ثم قال: فالكل أمام المسئولية الإلهية سواء، وكلهم مأخوذون بعهد الله وميثاقه، ولكن الناس بأهوائهم وفتق هذه الحياة، جعلوا الرسالات الإلهية الواحدة والعدل الإلهى الواحد، والفضل الإلهى الواحد جعلوه أنواعًا متعددة، وصورًا مختلفة متباينة، وانحاز كل فريق بدواعيه الخاصة إلى ما حد له ورسم لنفسه من شرعه ودين، وبذلك فرقوا دين الله، وهداية الله، وكانوا لأنفسهم ظالمين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[1].

الوفاء بالعهد فى السنة النبوية:

● عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان»[2].

وفى رواية مسلم: وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم.

● عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: «أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[3].

● عن جابر رضى الله عنه قال: قال لى النبى صلى الله عليه وسلم «لو قد جاء مال البحرين أعطينك، هكذا وهكذا فلم يجىء مال البحرين حتى قبض النبى

(١) سورة الأنعام آية (١٥٩).

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

صلى الله عليه وسلم فلما جاء مال البحرين أمر أبو بكر رضى الله عنه فنادى من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة أو دين فليأتنا فأتيته وقلت له إن النبى صلى الله عليه وسلم قال لى كذا وكذا فحتى لى حثية فعددتها فإذا هى خمسمائة فقال لى خذ مثليها»[١].

يقول ابن حجر فى هذا الحديث:

لما كان ﷺ أولى الناس بمكارم الأخلاق أدى أبو بكر عنه مواعيده ولم يسأل جابر البينة على ما ادعاه لأنه لم يدع شيئا فى ذمة النبى ﷺ وإنما ادعى شيئا فى بيت المال وذلك موكول إلى اجتهاد الإمام.

أثر الوفاء بالعهد على الفرد والجماعة:

الوفاء بالعهد إنه سماحة الإسلام التى يحرص عليها ويكررها القرآن كثيرًا، ويعدها آية الإيمان، وآية الآدمية، وآية الإحسان وهى ضرورية لإيجاد جو من الثقة والطمأنينة فى علاقات الأفراد، وعلاقات الجماعات وعلاقات الأمم. وبغير هذه السمة يعيش كل فرد مفزعًا قلقًا لا يركن إلى وعد، ولا يطمئن على عهد ولا يثق بإنسان.



(١) متفق عليه.

الوصية العاشرة

الأمر باتباع صراط الله المستقيم

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(١).

المعنى: لأن هذا الذى وصيتكم به من الأوامر والنواهى طريقى ودينى الذى لا أعوجاج فيه، فمن الواجب عليكم أن تتبعوه وتعملوا به.

الصراط: الجارة والطريق من سرط الشىء إذا ابتلعه وسمى الطريق بذلك لأنه يبتلغ المارين فيه.

المستقيم: المعتدل الذى لا اعوجاج فيه.

ولا تتبعوا السبل: يعنى الأديان الباطلة والبدع والضلالات الفاسدة.

فتفرق بكم عن سبيله: أى فتفرقكم عن صراط الله المستقيم وهو دين الإسلام الذى ارتضاه لكم.

أفرد سبحانه وتعالى الصراط المستقيم وهو سبيل الله وجمع السبل المخالفة له لأن الحق واحد والباطل ما خالفه وهو كثير فيشمل الأديان الباطلة والبدع الفاسدة، والشبهات الزائفة والفرق الضالة وغيرها.

والمراد بالصراط المستقيم الذى جعل الله طلب الهداية إليه هو ما جاء به الإسلام من عقائد وآداب وأحكام، توصل الناس من اتبعوها إلى سعادة الدنيا والآخرة، فإن طريق الإسلام هو الطريق الذى ختم الله به الرسالات السماوية، وجعل القرآن دستوره الشامل، ووكل إلى النبى صلى الله عليه وسلم بتبليغه وبيانه.

● عن النواس بن سمعان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «ضرب الله مثلا صراطا مستقيما، وعلى جنبتى الصراط سوران فيهما

(١) سورة الأنعام آية (١٥٣).

أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعًا، ولا تعجروا، وداع يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئًا من تلك الأبواب قال له: ويحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه، فالصراط الإسلام، والسوران حدود الله، والأبواب المفتحة مجارم الله، وذلك الداعى من فوق الصراط واعظ الله فى قلب كل مسلم(١).

● عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خط خطًا بيده ثم قال: «هذا سبيل الله مستقيمًا» وخط عن يمينه وشماله ثم قال: «هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه» ثم قرأ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾.

﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: أى ما سبق من وصايا وترك اتباع السبل وصاكم الله به لعلكم تتقون اتباع سبل الكفر والضلالة بها جاءكم به هذا الدين.

● قال أبو حيان: ولما كانت الخمسة المذكورة فى الآية الأولى من الأمور الظاهرية الجلية، مما يجب تعلقها وتفهمها ختمت الآية بقوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

ولما كانت الأربعة المذكورة فى الآية الثانية خافية غامضة ولا بد فيها من الاجتهاد والتفكر حتى يقف الإنسان فيها على موضع الاعتدال ختمت بقوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ولما كان الصراط المستقيم هو الجامع للتكاليف، وأمر -سبحانه- اتباعه ونهى عن اتباع السبل المختلفه ختم ذلك بالتقوى التى هى اتقاء النار، إذ من اتبع صراطه نجا النجاة الأبدية وحصل على السعادة السرمدية.

(١) أخرجه أحمد فى مسنده.

● عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أيكم يبايعنى على هؤلاء الآيات الثلاث: ثم تلا ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ حتى فرغ من ثلاث آيات ثم قال: «ومن وفى بهن فأجره على الله، ومن انتقص منها شيئا فأدركه الله فى الدنيا كانت عقوبته، ومن أخره إلي الآخرة كان أمره إلي الله إن شاء أخذه وإن شاء عفا عنه».

● وبعد: فهذه هى الوصايا العشر التى جاءت هذه الآيات الكريمة والمتأمل فيها يراها قد وضعت أساس العقيدة السليمة فى توحيد الله تعالى.

وبنت الأسرة الفاضلة على أساس الأحسان بالوالدين والرحمة بالأبناء وحفظت المجتمع من التصدع عن طريق تجريمها لانتهاك الأنفس والأموال والأعراض، ثم ربطت كل ذلك بتقوى الله التى هى منبع كل خير وسبيل كل فلاح.



مبايعة النساء للنبى ﷺ

أو وصايا النبى ﷺ للنساء

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

قال القرطبى ما ملخصه: وفى صحيح مسلم عن عائشة قالت: كانت المؤمنات إذا هاجرن إلى رسول الله ﷺ يمتحن بهذه الآية... وكان رسول الله ﷺ إذا أقرن بذلك من قولهن قال لهن رسول الله ﷺ «انطلقن فقد بايعتكن».

ولا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط غير أنه بايعهن بالكلام.. وما مست كف رسول الله ﷺ كف امرأة قط، وكان يقول لهن إذا أخذ عليهن: «قد بايعتكن كلاما»(٢).

والمعنى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ..﴾ أى: مبايعات لك، أو قاصدات مبايعتك، ومعاهدتك على الطاعة لما تأمرهن به، أو تنهاهن عنه.

وأصل المبايعة: مقابلة الشىء بشىء على سبيل المعاوضة. وسميت المعاهدة مبايعة، تشبيها لها بها، فإنالناس إذا التزموا قبول ما شرط عليهم من التكاليف الشرعية، طمعا فى الثواب: وخوفا من العقاب وضمن لهم ﷺ ذلك فى مقابلة وفائهم بالعهد - صار كأن كل واحد منهم باع ما عنده فى مقابل ما عند الآخر.

والمقتضى لهذه ومبايعة بعد الامتحان لهن، أنهن دخلن فى الإسلام بعد أن شرع الله -تعالى- ما شرع من أحكام وآداب... فكان من المناسب أن يأخذ النبى ﷺ عليهن العهود بأن يلتزمن بالتكاليف التى كلفهن الله -تعالى- بها.

(١) سورة الممتحنة آية (١٢).

(٢) راجع تفسير القرطبى جـ١٨ ص ١٧. وتفسير ابن كثير جـ٨ ص ١٢٦.

ثم بين -سبحانه- ما تمت عليه المبايعة:

١- عدم الشرك بالله تعالى.

٢- عدم السرقة.

٣- عدم الزنا.

٤- عدم قتل الأولاد.

٥- عدم الإتيان بالبهتان والكذب والأفتراء.

٦- عدم المعصية فى معروف.

١- عدم الشرك بالله:

قال تعالى: ﴿... أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾

أى: يبايعنك ويعاهدنك على عدم الإشراك بالله -تعالى- فى أى أمر من الأمور التى تتعلق بالعقيدة أو بالعبادة أو بغيرها.

٢- عدم السرقة:

قال تعالى: ﴿وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ﴾.. أى ويبايعنك -أيضا- على عدم ارتكاب فاحشة، أو فاحشة الزنا، فإنهما من الكبائر التى نهى الله تعالى عنها.

٣- عدم قتل الأولاد:

قال تعالى: ﴿وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ﴾ أى: ويبايعنك كذلك، على عدم قتلهن لأولادهن.

والمراد به هنا: النهى عن قتل البنات، وكان ذلك فى الجاهلية يقع تارة من الرجال، وأخرى من النساء، فكانت المرأة إذا حانت ولادتها حفرت حفرة، فولدت بحافيها، فإذا ولدت بنت رمت بها فى الحفرة وسوتها بالتراب، وإذا ولدت غلاما أبقته.

قال ابن كثير: وقوله ولا يقتلن أولادهن، وهذا يشمل قتله بعد وجوده، كما

كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الإملاق، ويعم قتله وهو جنين، كما قد يفعله بعض الجهلة من النساء. تطرح نفسها لئلا تحبل، إما لغرض فاسد أو ما أشبهه(١).

٤ - عدم الإتيان بالبهتان والكذب والإفتراء:

قال تعالى: ﴿وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ معطوف على ما قبله، وداخل تحت النهى.

والبهتان: الخبر الكاذب الصريح فى كذبه، والذى يجعل من قيل فيه يقف مبهوتا ومتحيرا من شدة أثر هذا الكذب السافر.

والافتراء: اختلاق الكذب واختراع الشخص له من عند نفسه.

وللمفسرين فى معنى هذه الجملة الكريمة أقوال منها:

أن المرأة فى الجاهلية كانت تلتقط المولود وتقول لزوجها: هذا ولدى منك، فذلك هو البهتان المفترى بين أيديهن وأرجلهن لأن الولد إذا وضعته الأم، سقط بين يديها ورجليها.

ويرى البعض أن معنى الجملة الكريمة: ولا تأتوا بكذب شنيع تختلقونه من جهة أنفسكم، فاليد والرجل كناية عن الذات لأن معظم الأفعال بها، ولذا قيل لمن ارتكب جناية قولية أو فعلية: هذا جزاء ما كسبت يداك(٢).

٥- عدم المعصية فى معروف:

قال تعالى: ﴿...وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ من الأقوال الجامعة لكل ما يخبر به النبى ﷺ ويأمر بفعله أو ينهى عن الاقتراب منه.

ويشمل ذلك النهى عن شق الجيوب، ولطم الخدود، ودعوى الجاهلية وغير ذلك من المنكرات التى نهى الإسلام عنها.

---

(١) تفسير ابن كثير ج٨ ص ١٢٦.

(٢) راجع تفسير الآلوسى ج٢٨ ص٨.

٦- المبايعة واستغفار الله لهن:

قال تعالى: ﴿فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ...﴾ جواب «إذا» التى فى أول الآية.

أى: إذا جاءك المؤمنات قاصدات لمبايعتك على الالتزام بتعاليم الإسلام فبايعهن على ذلك... واستغفر لهن الله -تعالى- عما فرط منهن من ذنوب.

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أى: إن الله تعالى واسع المغفرة والرحمة لعباده المؤمنين.

وهذه المبايعة يبدو أنها وقعت منه ﷺ للنساء أكثر من مرة إذا منها ما وقع فى أعقاب صلح الحديبية بعد أن جاءه بعض النساء المؤمنات مهاجرات من دار الكفر إلى دار الإسلام، كما حدث من أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط، ومن سبيعة الأسلمية، ومن أميمة بنت بشر، ومن غيرهن من النساء اللاتى تركن أزواجهن الكفار، وهاجرن إلى دار الإسلام.

ومنها ما وقع فى أعقاب فتح مكة، فقد جاء إليه ﷺ بعد فتحها، نساء من أهلها ليبايعنه على الإسلام.

قال الآلوسى: والمبايعة وقعت غير مرة، ووقعت فى مكة بعد الفتح وفى المدينة.

وممن بايعنه ﷺ فى مكة هند بنت عتبه، زوج أبى سفيان.. فقرأ عليهن ﷺ الآية، فلما قال ... ﴿وَلَا يَسْرِقْنَ﴾ قالت: والله إنى لأحبب الهنه من مال أبى سفيان ولا أدرى أيحل لى ذلك؟

فقال أبو سفيان: ما أصبت من شىء فيما مضى فهو حلال لك.. فلما قرأ ﷺ: ﴿وَلَا يَزْنِينَ﴾ قالت: أو تزنى الحرة؟

فلما قرأ: ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ قالت: ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا، وفى رواية أنها قالت. قتلت الآباء وتوصينا بالأولاد.

فلما قرأ ﷺ: ﴿وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ...﴾ قالت: والله إن البهتان لقبيح ولا يأمر الله -تعالى- إلا بالرشد ومكارم الأخلاق.

والتقييد بالمعروف، مع أن الرسول ﷺ لا يأمر إلا به، للتنبيه على أنه لا يجوز طاعة مخلوق فى معصية الخالق.

وتخصيص الأمور المعدودة بالذكر فى حقهن لكثرة وقوعها فيما بينهن(١).

وقد ذكر الإمام ابن كثير، جملة من الأحاديث التى تدل على أن هذه البيعة قد تمت فى أوقات متعددة، وفى أماكن مختلفة، وأنها شملت الرجال والنساء.

ومن هذه الأحاديث ما أخرجه الإمام أحمد عن سلمى بنت قيس إحدى نساء بنى عدى بن النجار قالت: جئت رسول الله ﷺ نبايعه فى نسوة من الأنصار، فشرط علينا: ألا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا تزنى، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه فى معروف.. ثم قال ﷺ: «ولا تغششن أزواجكن». قالت: فبايعناه ثم انصرفنا.

فقلت لامرأة منهن: ارجعى إلى رسول الله ﷺ فسليه: ما غش أزواجنا فسألته فقال: «تأخذ ماله» فتحابى به فى غيره(٢).



(١) تفسير الآلوسى ج٢٨ ص٨١.

(٢) راجع تفسير ابن كثير ج ١٢٤ والتفسير الوسيط للدكتور محمد سيد طنطاوى الجزء السادس والعشرون طبعة السعادة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

من وصايا الرسول

في السنة النبوية

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله عصابة من أصحابه بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئًا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه. فبايعناه على ذلك.

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يأخذ العهود على المسلمين ليحافظوا على حدود الله ومن هذه العهود البيعة التي بايع عليها الرجال بعد النساء عقيب فتح مكة على أن لا يشركوا بالله شيئا ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم ولا يكذبوا ولا يعصوا الأمر بالمعروف، ثم وعد من وفى بالعهد بتحقيق الأجر وهو الجنة وبين أن من أقيم عليه الحد في الدنيا فالله أكرم من يثني بالعقوبة على عبده في الآخرة ومن لم يقم عليه الحد في الدنيا فأمره مفوض إلى الله إن شاء عفا عنه وغفر له بفضله وإن شاء عاقبه على ذنبه بعدله.

والهدف من ذلك أن يخاف المؤمن غضب الله لانتهاك محارمه وأن يتحرر من الذنوب فإن أصاب منها شيئا كان عليه أن لا يفتر فيعتمد على الكرم والرجاء بل يسارع بالندم والتوبة والفرار من السيئات أنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

مفردات الحديث:

- وحوله عصابة من أصحابه: ما بين العشرة إلى الأربعين وهم أحد عشر رجلا ومع عبادة اثنا عشر.
- بايعوني: أي عاقدوني والمبايعة المعاهدة سميت بذلك تشبيها بالمعارضة المالية.

على: ما يفيد التوحيد.

ألا تشركوا بالله شيئًا: أى على ترك الإشراك المستلزم للتوحيد شيئًا نكرة فى سياق النهى فتعم كالنفى وقدم هذا على ما بعده لأنه الأصل.

ألا تسرقوا: شيئًا فحذف المفعول ليدل على العموم.

ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم: خص القتل بالأولاد لأنه كان شائعاً وهو وأد البنات أى دفنهم بالحياة وقتل البنين خشية الإملاق. أو لأن قتلهم أكبر من قتل غيرهم لأنه قتل وقطيعة رحم ولأنهم لا يقدرون على الذنب على أنفسهم فالعناية بالنهى آكد.

ببهتان: أى كذب يبهت سامعه أى يدهشه لفظاعته كالرمى بالزنا والفضيحة والعار.

تفترونه: من الافتراء أى تخلقونه.

بين أيديكم وأرجلكم: أى من قبل أنفسكم. فكنى باليد والرجل عن الذات لأن معظم الأفعال يقع بهما، ويحتمل أن يكون المراد بها بين الأيدى والأرجل القلب لأنه الذى يترجم عنه اللسان فلذا نسب إليه الافتراء.

والمعنى لا ترمون أحد بكذب ترونه فى أنفسكم ثم تبهتون صاحبه بألسنتكم.

ولا تعصوا: أى لا تعصونى ولا أحدًا ممن ولى عليكم بعدى.

فى معروف: وهو ما عرف من الشارع حسنه نهيا وامرًا قيد به وإن كان عليه الصلاة والسلام لا يأمر إلا به تطيبًا لقلوبهم وتبيهًا على أنه لا تجوز طاعة مخلوق فى معصية الخالق. وخص هذه المعاصى بالذكر للاهتمام بها.

فمن وفى: أى ثبت على العهد.

منكم فاجره على الله: فضلا ووعدًا لا وجوبًا عليه.

ومن أصاب من ذلك شيئًا: غير الشرك لقوله تعالى ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾

فعوقب: أى به أى بسببه.

فى الدنيا: بأن أقيم عليه الحد.

فهو: أى العقاب.

كفارة له: وفى رواية بإسقاط له فلا يعاقب عليه فى الآخرة لأن الحدود كفارات.

ومن أصاب من ذلك: أى المذكور غير الشرك.

شيئا ثم ستره الله: وفى رواية زيادة عليه.

فهو: مفوض.

إن شاء عفا عنه: إما عن الكل أو عن البعض بفضله وإن شاء عاقبه: بعدله.

فبايعناه على ذلك: مفهوم هذا يتناول من تاب ومن لم يتب وأنه لا تيحتم دخوله النار بل هو إلى مشيئة الله.

سبب هذا الحديث: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على قبائل العرب فى كل موسم، فبينما هو عند «العقبة» إذ لقى رهطا من الخزرج فقال ألا تجلسون أكلمكم: قالوا بلى فجلسوا فدعاهم إلى الله تعالى وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن فأجابوه فلما انصرفوا إلي بلادهم ذكروه لقومهم ففشا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فأتى فى العام المقبل أثنا عشر رجلا إلى الموسم من الأنصار فيهم عبادة بن الصامت فلقوا رسول الله ما قال الله تعالى: ﴿يا أيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ألا يشركن بالله شيئا﴾ الآية، وهى بيعة العقبة الأولى ثم انصرفوا، وخرج فى العام الآخر سبعون رجلا منهم إلى الحج فأجتمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورغبهم فى الإيمان فأجابوه فقال إنى ابايعكم على أن تمنعونى مما منعتم منه أبناءكم فقالوا أبسط يدك نبايعك فقال أخرجوا لى منكم اثنى عشر نقيبًا وكان عبادة نقيب بنى عوف فبايعوه عليه الصلاة والسلام وهى بيعة العقبة الثانية.

وصية الرسول ﷺ

لعلى بن أبى طالب

قال على رضي الله عنه: دعانى رسول ﷺ فخلوت معه فى منزله فقال لى: «يا على: أنت منى بمنزلة هرون من موسى عليه السلام. غير أنه لا نبى بعدى. إنى أوصيك اليوم بوصية إن أنت حفظتها عشت حميدا ومت شهيدا وبعثك الله يوم القيامة فقيها عالما.

يا على: من أكل الحلال صفا دينه ورق قلبه. ولم يكن لدعوته حجاب. ومن أكل الشبهات اشتبه عليه دينه وأظلم قلبه. ومن أكل الحرام مات قلبه وخف دينه. وضعف يقينه وحجب الله دعوته. وقلت عبادته.

إذا غضب الله على أحد رزقه مالا حراما فإذا اشتد غضبه عليه وكل به شيطانا يبارك له فيه. ويصاحبه ويشغله بالدنيا عن الدين ويسهل له أمور دنياه. ويقول الله غفور رحيم.

ما سافر أحد طالبا الحرام ماشيا إلا كان الشيطان قرينه. ولا راكبا إلا كان رديفه. ولا جمع أحد مالا حراما إلا أكله الشيطان. ولا نسى أحد اسم الله تعالى عند الجماع إلا شاركه الشيطان فى ولده. وذلك قوله تعالى ﴿وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم﴾.

لا يقبل الله تعالى صلاة بلا وضوء. ولا صدقة من الحرام.

لا يزال المؤمن فى زيادة فى دينه مالم يأكل الحرام.

من فارق العلماء مات قلبه وعمى عن طاعة الله تعالى.

من قرأ القرآن ولم يحل حلاله ولم يحرم حرامه كان من الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم.

استقص إسباغ الوضوء فإنه شطر الإيمان. فإذا توضأت فلا تسرف فى الماء. فإذا فرغت من طهر فاقرأ ﴿إنا أنزلنا فى ليلة القدر﴾ من بعد غسل القدمين، عشر مرات، يفرج الله همك.

إذا فرغت من الطهارة فخذ ماء وامسح بيديك رقبتك وقل: سبحانك اللهم وبحمدك. أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك. أستغفرك وأتوب إليك. ثم انظر إلى الأرض وقل. أشهد أن محمدا عبدك ورسولك فإن من قال هذا غفر الله له كل صغيرة وكبيرة.

إن الملائكة يستغفرون للإنسان ما دام على طهارة ولم يحدث.

من اغتسل يوم الجمعة غفر الله له ما بين الجمعة إلى الجمعة وجعل ذلك ثوابا فى قبره. وثقلا على ميزانه.

عليك بالسواك ففيه أربع وعشرون فضيلة فى الدين والبدن.

عليك بالصلاة فى أوقاتها فإنها رأس كل فضيلة وسنام كل عبادة.

تمنى جبريل أن يكون من بنى آدم لسبع خصال: الصلوات الخمس مع الإمام، ومجالسة العلماء، وعيادة المريض، وتشييع الجنازة، وسقى الماء، والصلح بين الاثنين، وإكرام الجار واليتيم، فاحرص على ذلك.

صل بالليل ولو كحلب شاة فالمصلى بالليل أحسن الناس وجها.

إذا كبرت للصلاة ففرج أصابعك، وارفع يديك حذو منكبيك، إذ كبرت فضع يمينك على شمالك تحت سرتك، وإذا ركعت فضع يديك على ركبتك، وفرج بين أصابعك.

أسفر بالصبح. وصل المغرب بعد غياب الشمس بقدر حلب شاة. فإن ذلك من خصال الأنبياء عليهم السلام.

عليك بصلاة الجماعة فإنها عند الله كمشيك إلى الحج والعمرة. وما يحرص على صلاة الجماعة إلا رجل مؤمن قد أحبه الله. وما يزهد فيها إلا منافق قد أبغضه الله.

أحب العباد إلى الله تعالى عبد ساجد يقول فى سجوده: رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى ذنبى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

عليك بصلاة الضحى فى السفر والحضر. فإنه إذا كان يوم القيامة ينادى مناد من فوق شرف الجنة: أين الذين كانوا يصلون الضحى. ادخلوا من باب الضحى بسلام آمنين. وما بعث الله من نبى إلا وأمره بصلاة الضحى.

من كرامة المؤمن زوجة موافقة. والصلاة جماعة. وجيران يحبونه. من صام رمضان، واجتنب الحرام فيه والبهتان. رضى عنه الرحمن وأوجب له الجنان.

من أتبع رمضان بست من شوال كتب الله له صوم الدهر كله.

إن أولياء الله تعالى لم ينالوا سعة رحمة الله ورضوانه بكثرة العبادة ولكن نالوها بسخاوة النفس والاستهانة بالدنيا.

السخى قريب من الله. قريب من رحمته. بعيد من عذابه. والبخيل بعيد من الله. بعيد من رحمته. قريب من عذابه.

رأيت مكتوبا على باب الجنة: أنت محرمة على كل بخيل وعاق ونمام.

لما خلق الله الجنة قالت: يا رب لم خلقتنى. قال لكل سخى وتقى قالت رضيت. وقالت النار يا ربى لم خلقتنى. قال لكل بخيل ومتكبر قالت أنا لهما.

من خالف هواه كانت الجنة مأواه. ومن أطاع هواه كانت جهنم مثواه.

اتق دعوة السخى فإنه متى عثر أخذ الله بيده.

من أطعم مسلما بطيب نفس كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة. ورفع له ألف درجة.

حب لأخيك ما تحب لنفسك.

اطلب الخير عند صباح الوجوه. وأكرم الضيف فإنه إذا نزل بقوم نزل معه رزقه، وإذا ارتحل ارتحل بذنوب أهل المنزل فيلقيها فى البحر.

لا تدخل الملائكة بيتا فيه تصاوير أو تماثيل أو عاق لوالديه. أو بيتا لا يدخله ضيف.

اصنع المعروف ولو مع السفلة: قال على وما السفلة يا رسول الله؟ قال «الذى إذاوعظ لم يتعظ، وإذا زجر لم ينزجر، ولا يبالى بما قال وما قيل له».

صدقة السر تطفىء غضب الرب، وتجلب البركة والرزق الكثير. وباكر بالصدقة فإن البلاء ينزل قبل البكور، فترد القضاء فى الهواء.

إذا تصدقت فتصدق بأحسن ما عندك، فإن صدقة لقمة من حلال أحب إلى الله من مائة مثقال من حرام، وصدقة تقدمها قبل موتك أفضل من مائة مثقال يتصدقون بها بعد موتك، قال الله تعالى ﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه﴾.

تصدق على موتاك فإن الله تعالى قد وكل ملائكة يحملون صدقات الأحياء إليهم، فيفرحون بها أشد ما كانوا يفرحون فى الدنيا، ويقولون: اللهم اغفر لمن نور قبرنا، وبشره بالجنة كما بشرنا بها.

اعمل خالصا لله فإن الله لا يقبل إلا من كان خالصا لوجهه، قال الله تعالى ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾ عليك بالدعاء بين الأذان والإقامة فإنه لا يرد.

إذا دعوت فابسط يدك حذو صدرك ولا ترفعها فوق رأسك وتشير إلى الله تعالى بسبابتك اليمنى.

لا تجهر بقراءتك ولا بدعائك حيث يصلى الناس فإن ذلك يفسد عليهم صلاتهم.

من ذكر الله قبل الفجر وقبل طلوع الشمس وقبل غروبها استحيا الله أن يعذبه بالنار.

إذا صليت فاقعد مكانك حتى تطلع الشمس، فإن الله يكتب لمن يجلس مكانه حجة وعمرة أو عتق رقبة أو صدقة ألف دينار فى سبيل الله.

من قال كل يوم خمسا وعشرين مرة: أستغفر الله العظيم لى ولوالدى ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، كتبه الله من أوليائه.

من قال كل يوم عشر مرات لا إله إلا الله قبل كل أحد، لا إله إلا الله بعد كل أحد، لا إله إلا الله يبقى ربنا ويفنى كل أحد، لم يبق ملك فى السموات إلا استغفر له.

من قال كل يوم: اللهم بارك لى فى الموت وفيما بعد الموت لم يحاسبه الله بما فعله فى الدنيا، ومن كبّر مائة مرة قبل الشمس، ومائة قبل الغروب كتب الله له ثواب مائة عابد ومائة مجاهد فى سبيل الله تعالى.

من صلى علىّ كل يوم أو ليلة مائة مرة وجبت له شفاعتى. وكثرة الاستغفار حصن للتائبين من النار.

أصدق وإن ضرك فى العاجل فإنه ينفعك فى الآجل. ولا تكذب وإن نفعك فى العاجل فإنه يضرك فى الآجل.

من كثرت ذنوبه ذهب بهاؤه.

عليك بصدق الحديث وحفظ الحديث وحفظ الأمانة وسخاء النفس وعفة البطن.

بئس الصديق الذى يقصر فى صديقه ويفشى سره.

ألف صديق قليل وعدو وأحد كثير.

للصداقة علامات: أن يجعل ماله دون مالك، ونفسه دون نفسك، وعرضه دون عرضك.

لا توبة للتائب حتى يغسل بطنه من الحرام بطيب كسبه.

إذا لم يكن العالم تقيا ظلت موعظته على قلوب الناس كما يظل القطر على بيض النعام والصفا.

إذا مضى على المؤمن أربعون صباحا ولم يجالس العلماء قسا قلبه وجسر على الكبائر لأن العلم حياة القلب.

إن الله لا يستحى من عذاب غنى سارق وعالم فاسق.

لا تعير أحدا بما فيه، فما من لحم إلا وفيه عظم. ولا كفارة للغيبة حتى يستحله أو يستغفر له.

ما خلق الله فى الإنسان أفضل من اللسان، به يدخل الجنة ويدخل النار فاسجنه فإنه كلب عقور.

لا تلعن مسلما ولا دابة فترجع اللعنة عليك.

الدين كله فى الحياء، وهو أن تحفظ الرأس وما حوى، والبطن وما وعى.

لا دين لمن لا خشية له، ولا عقل لمن لا عصمة له، ولا إيمان لمن لا ورع له، ولا عبادة لمن لا علم له، ولا مروءة لمن لا صدقة له، ولا أمان لمن لا سر له، ولا توبة لمن لا توفيق له، ولا سخاء لمن لا حياء له.

من لم يكن ورعا عن المعاصى فبطن الأرض خير له من ظهرها، لأنه لا إيمان فى قلبه.

أصل الورع ترك الحرام وما حرم الله. ورأس الكرم فى ترك المعاصى.

إن الرجل ليبلغ بالخلق الحسن درجة الصائم القائم المغازى فى سبيل الله.

كن بشاشا فإن الله يحب البشاشين ويبغض العبوس الكرية الوجه.

رأس العبادة الصمت إلا من ذكر الله.

كثرة النوم تميت القلب، وتذهب البهاء. وكثرة الذنوب تميت القلب وتورث الندم.

من أنعم الله عليه فشكر، وابتلاه فصبر، وأساء فاستغفر، دخل الجنة من أى باب شاء.

لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين. وعليك بالحزن فإن الله يحب كل حزين.

ما من يوم جديد إلا ويقول: يا ابن آدم أنا يوم جديد، وعلى عملك شهيد، فانظر ماذا تفعل.

إياك وعلية الموتى، لا يذكرون إلا دنياهم. فقال على وما هم يا نبى الله؟ قال «الأغنياء وأصحاب الدنيا الذين تراهم مقبلين على جمعها كإقبال الوالدة على ولدها، وأولئك هم الخاسرون غدا».

خير الناس عند الله تعالى أنفعهم للناس. وشرهم عند الله تعالى من طال عمره وساء عمله. وخيرهم من طال عمره وحسن عمله. وأبغض الناس إلى الله من أكل وحده ومنع رفده وضرب عبده، وأكرم الغنى وأهان الفقير، وأشر منه من عاش فى الحرام ومات فى الحرام، وأشر منه من طال عمره وساء فعله ولا يتوب عما نهاه الله تعالى عنه وهو يطمع فى مغفرته، وأشر منه من أظهر الصداقة لأخية المسلم ويدبر له خلافها، وأشر منه من ذهب أول عمره غفلة وآخره كسلا عن طاعة الله تعالى.

علامات الصبر حسن السريرة عند الله وحسن الخدمة.

للمؤمن ثلاث علامات، بغض المال، وبغض النساء، وبغض الكلام فى أعراض الناس.

للعاقل ثلاث علامات: الاستعانة بالدنيا على الآخرة، واحتمال الجفا والصبر على الشدائد.

للعالم ثلاث علامات: صدق الكلام، واجتناب الحرام، والتواضع.

للتقى ثلاث علامات: يتقى الكذب والخبث وجليس الشر، ويدع شطر الحلال مخافة أن يقع فى الحرام.

للصدق ثلاث علامات: كتمان العبادة، وكتمان الصدقة، وكتمان المصيبة.

للعابد ثلاث علامات: يمقت نفسه ويحاسبها ويطيل القيام بين يدى الله تعالى.

للصالح ثلاث علامات: يصلح بين الله وبينه بالعمل الصالح، ويصلح دينه بالعمل، ويرضى للناس ما يرضى لنفسه.

للسعيد ثلاث علامات: قوت حلال، ومجالسة العلماء، والصلوات الخمس مع الإمام.

للمؤمن ثلاث علامات: يبادر فى طاعة الله، ويجتنب المحارم، ويحسن إلى من أساء إليه.

للسخى ثلاث علامات: العفو عند المقدرة، وإخراج الزكاة، وحب الصدقات.

للحليم ثلاث علامات: يصل من قطعه، ويعطى من حرمه، ويعفو عمن ظلمه.

للصبور ثلاث علامات: الصبر على طاعة الله، والصبر على المصيبة، والصبر على قضاء الله.

للتائب ثلاث علامات: اجتناب الحرام، والحرص على طلب العلم، ولا يعود للذنب كما لا يعود الحليب للضرع.

للكافر ثلاث علامات: الشك فى الله، والبغض فى عباد الله، والغفلة عن طاعة الله.

للمنافق ثلاث علامات: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان، ولا تنفعه موعظة.

للمرائى ثلاث علامات: يتم ركوعه وسجوده مع الناس، وينقصه إذا صلى وحده، وينشط للمرء الذى يثنى عليه، ويذكر الله فى الملأ لا الخلا.

للأحمق ثلاث علامات: التهاون فى فرائض الله، وكثرة الكلام فى ذكر الله، والطعن فى الله.

للمخذول ثلاث علامات: كثرة الكذب، وكثرة الأيمان الفاجرة، وكثرة الحوائج إلى الناس.

للشقى ثلاث علامات: قوت حرام، واجتناب العالم، وصلاته وحده.

للمجرم ثلاث علامات: حب الفساد، وضر العباد، واجتناب الرشاد.

للظالم ثلاث علامات: لا يبالى من أى شىء يأكل، ويقهر مدينه، ويبطش به إذا أمكنه.

إذا دخلت المسجد فابدأ برجلك اليمنى واطلع برجلك اليسرى.

عليك بسورة يس صباحا ومساءً فإن من قرأها كذلك كان فى أمان الله.

من قرأ سورة الحشر كل ليلة كفى شر الدنيا والآخرة.

من قرأ سورة البقرة ليلة الجمعة طلع له نور ما بين السماء السابعة إلى تحت الأرضين.

من قرأ سورة الدخان وبسورة الملك ليلة الجمعة غفر الله ذنوبه وكفى فتنة القبر.

من قرأ عند مضجعه آخر، آية الكهف بنى له من النور من رأسه إلى كعبه.

من قرأ سورة الطارق عند مرقده كتب له عدد نجوم السماء حسنات.

من قرأ سورة الملك وتلا بعد قراءتها: اللهم اعصمنى بالإسلام قائما، واعصمنى بالإسلام قاعدا وراكبا، ولا تشمت فى عدوا ولا حاسدا، اللهم إنى أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، وأسألك الخير الذى بيدك، كفاه الله ما أهمه من الجن والإنس والدواب.

إذا أردت حاجة فاقرأ آية الكرسى، وادع الله فى الهموم والكروب وقل يا حى يا قيوم لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث فاغفر لى، وأصلح لى شأنى، وفرج همى، فإن الله يكشف عنك الهموم، ويفرج عنك الكروب ويقضى لك الحوائج.

إذا أصابك هم أو أمر فقل: سبحانك ربى، لا إله إلا أنت، عليك توكلت، أنت رب العرش العظيم.

أكثر من الدعاء الذى علمنيه جبريل عليه السلام وهو: اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة.

إذا رأيت الهلال فهلل ثلاثا وكبر ثلاثا وقل: الله أكبر وأعز وأقدر مما أخاف وأحذر.

إذا لقيت من تحذره فقل: اللهم إنى أدرأ بك فى نحره، واستكفيك غضبه وأعوذ بك من شره.

ابدأ من لقيت من المسلمين بالسلام يكتب الله لك عشرين حسنة، ورد السلام فالله يكتب لمن رده أربعين حسنة.

إياك والغضب فإنه من الشيطان، وهو أقدر ما يكون عليك فى حالة الغضب، وإياك ودعوة المظلوم فإن الله يستجيب له، وإن كان كافر فعليه كفره.

إياك واليمين الفاجرة، إنها منفقة للسلعة، وممحقة للرزق والعمر.

من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر أرغم الله أنف عدوه، ومن صدق فى أموره غضب الله لغضبه.

إذا بكى اليتيم اهتز العرش فيقال يا جبريل: وسع النار لمن أبكاه، ووسع الجنة لمن أضحكه.

الدين النصيحة: لله ولرسوله وللمؤمنين.

سبعة من أمتى فى الجنة: شاب تائب، ومن تصدق سرا، ومن يؤدى صلاة الضحى، ومن كان ذهاب ماله أهون عليه من فوات صلاة واحدة مع الإمام؛ ومن دمعت عيناه من خشية الله، ومن زاحم العلماء فى مجالسهم.

من أرشد الأعمى بيده اليسرى جاء يمينه فى يمينه.

إذا كان الإنسان فى سكرات الموت فإن مفاصله تسلم على بعض تقول: السلام عليك فإنى مت، وكذا الشعرة البيضاء على الشعرة السوداء.

احفظ وصيتى كما حفظتها عن جبريل عن رب تقدست أسماؤه ولا إله غيره. تمت.



خلاصة البحث

من هذا البحث نستطيع أن نستخلص الآتى:

- التوحيد دعوة الرسل جميعًا.
- التوحيد أمر فطرى فى الإنسان والشرك أمر عارض.
- اهتمام الإسلام بالأسرة حيث إنها اللبنة الأولى فى تكوين المجتمع إن صلحت صلح المجتمع وإن فسدت فسد المجتمع كله.
- والإسلام دين العفاف حيث إنه نهى عن مقاربة أسباب الزنا.
- محافظة الإسلام على حياة البشرية وعدم سلب حياة أي بشر بدون وجه حق.
- رعاية الإسلام باليتيم وكفالته والأخذ على أيدى الذين يستغلون الضعفاء فى تطفيف الكيل والوزن لهم.
- عدل الإسلام الذى يتمثل فى قول الحق حتى إذا كان الحق لصالح عدو نهاه الإسلام أن يحمله هذا على الظلم لعدوه بأن يكتم الشهادة أو يقول غير الحق.
- سماحة الإسلام التى تتحلى فى الوفاء بالعهد مع الله تعالى ومع الناس ومع الحاكم ومع الأعداء.
- إتباع طريق الله المستقيم الذى لا أعوجاج فيه فهو خير فوز فى الدنيا وخير فلاح فى الأخرة.



الخاتمة

نحمد الله العلى القدير الذى وفقنا لكتابة هذا البحث.

ولقد بذلت فيه قصارى جهدى وذلك بالبحث والتنقيب فى كتب التفسير القديمة والحديثة وكتب السنة النبوية الصحيحة المعتمدة فإن كان صوبًا فمن الله وإن كان خطأ فمن نفسى والشيطان وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

منفلوط فى الخميس
٢٣ شوال ١٤٢٩هـ
٢٣ أكتوبر ٢٠٠٨م

خادم العلم والدين
صفوت جودة أحمد



أهم مراجع البحث

١- القرآن الكريم.

٢- تفسير أبى السعود.

٣- فتح القدير للإمام الشوكانى.

٤- أسرار التكرار فى القرآن الكرمانى.

٥- التفسير الوسيط للدكتور محمد سيد طنطاوى.

٦- المؤمنون آيات وأحاديث للدكتور محمود بن الشريف.

٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل.

٨- المستدرك للحاكم.

٩- سنن أبن ماجة.

١٠- صحيح مسلم.

١١- صحيح البخارى.

١٢- فتح البارى.

١٣- الفتح الربانى.

١٤- سنن النسائى.

١٥- من وصايا القرآن لفضيلة الشيخ عبد الحميد كشك.

١٦- الوصايا فى سورة الأنعام ضمن حولية لكلية الدراسات الإسلامية والعربية بالقاهرة العدد الرابع عام ١٩٨٦م.



فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
- الإهداء	٣
- مقدمة المؤلف	٥
- وصايا القرآن العشر	٦
- الوصية الأولى: النهى عن الإشراك بالله	١٠
- الوصية الثانية: الإحسان إلى الوالدين	١٧
- الوصية الثالثة: النهى عن قتل الأولاد	٣١
- الوصية الرابعة: النهى عن قرب الفواحش	٣٦
- الوصية الخامسة: النهى عن قتل النفس	٤٤
- الوصية السادسة: النهى عن أكل مال اليتيم	٥٠
- الوصية السابعة: الأمر بإيفاء الكيل والميزان	٥٨
- الوصية الثامنة: الأمر بالعدل فى القول	٦٤
- الوصية التاسعة: الأمر بالوفاء بالعهد	٧٥
- الوصية العاشرة: الأمر باتباع صراط الله المستقيم	٨٧
- مبايعة النساء للنبى ﷺ	٩٠
- من وصايا الرسول ﷺ فى السنة النبوية	٩٥

- وصية الرسول ﷺ لعلى بن أبى طالب رضي الله عنه ٩٨

- خلاصة البحث...................................... ١٠٨

- الخاتمة.. ١٠٩

- أهم مراجع البحث.................................. ١١٠

- فهرس الكتاب..................................... ١١٢

